مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)
Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

من القيم الحضارية دراسة في ضوء القرآن الكريم(*)

د/ حسن بن ناجع العجمي
أستاذ مساعد في تفسير وعلوم القرآن بقسم
الدراسات الإسلامية - جامعة تبوك السعودية
hagmi-25@hotmail.com

*) تاريخ تسليم البحث 1/5/2022 تاريخ قبوله للنشر 29/5/2022
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

من القيم الحضارية دراسة في ضوء القرآن الكريم

د/ حسن بن ناجع العجمي
أستاذ مساعد في تفسير وعلوم القرآن
بقسم الدراسات الإسلامية جامعة تبوك- السعودية

ملخص البحث باللغة العربية

تناولت هذه الدراسة الحديث عن بعض القيم الحضارية الموجودة في القرآن الكريم وبينت أن القيم عبارة عن مجموعة المبادئ والقواعد والمثل العليا والحضارة نظام شامل يقوم بعمارة الأرض ضوء المنهج الرباني والنبوي ثم تحدثت الدراسة عن أبرز القيم الحضارية مثل العدل الذي هو أساس الملك والحرية التي هي قرينة الحضارة ثم ذكرت قيمة التنافس وأثره في الازدهار الحضاري ثم الإحسان الذي هو من صفات أهل الإيمان ثم التعاون ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم تنمية روح الولاء والانتماء للوطن وذكرت الدراسة جملة من النتائج أهمها أن القيم الحضارية الموجودة في كتاب الله ﷻ هي الطريق الموصل إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، والسعادة في الدنيا والوصول للجنة في الآخرة.

الكلمات المفتاحية: القيم – الحضارة – العدل – الحرية – التنافس – التعاون – الإحسان – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – الولاء والانتماء.

Cultural Values: A Study in the Light of the Holy Quran

Dr. Hassan Bin Nagaa Al-Ajmi
Assistant Professor of Interpretation and Sciences of the Qur'an
Department of Islamic Studies, University of Tabuk, Saudi Arabia

Abstract

The study has investigated some civilized values in the Holy Quran. This study has shown that they are a set of principles, rules and ideals, and civilization which is a comprehensive system that builds the earth in the light of the divine and prophetic approach. The study has highlighted the most prominent of the values like justice as the base for ruling a country and the freedom value which is the counterpart of civilization, the value of competition and its influence on civilized behavior. Then Ihsan, which is one of the characteristics of people of faith; after that cooperation, then enjoining good and forbidding evil, then developing the spirit of loyalty and belonging. The study has found that these values are the best way to the recognition of Allah and the happiness in this life and the life hereafter

Keywords: Values - Civilization - Justice - Freedom - Competition - Cooperation - Charity - Enjoining Good and Forbidding Evil - Loyalty and Belonging.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين؛ سبحانه من إله عظيم علم بالقلم، علم الإنسان ما لا يعلم، أكرمنا بالإيمان، وأعزنا بالإسلام، وأنعم علينا بنبيه محمد –ﷺ– صاحب القيم الحضارية النبيلة "كان يمتاز من جمال خلقه وكمال خلقه بما لا يحيط بوصفه البيان، وكان من أثره أن القلوب فاضت بإجلاله، والرجال تفانوا في توقيره وإكباره، بما لا تعرف الدنيا لرجل غيره، فالذين عاشروه أحبوه إلى حد الهيام ولم يبالوا أن تندق أعناقهم ولا يخدش له ظفر"(١) أخرج البشرية من ظلمات الكفر والجهالة إلى نور التوحيد والهداية والعلم والبصيرة؛ فاستحق بحق أن يكون أسوة لأمته في الأدب والتربية، وبعد،،،

فإن الإسلام عبارة عن مجموعة من القِيَم الحضارية هدفها؛ ترقية الحياة نحو الأفضل وتهذيبها نحو الأحسن، وإسعاد البشرية في الدارين، إذا طبق المسلمون هذه القيم خرجوا من الدوائر الضيقة التي تأخذ بأيديهم نحو الهبوط والانحدار بل التخلي عن هذه القيم يؤدي بالمجتمع إلى الدمار والهلاك؛ لكن العيش في ضوئها يرنوا بالمجتمع نحو التقدم والكمال والرقي.

وأصبحت هذه القيم التي ذكرها القرآن الكريم؛ تمثل الركيزة الأساس للبناء والتشكيل العقائدي، والثقافي، والأخلاقي، للشخصية المسلمة، وبالتالي للمجتمع، وتعمل على تحصين الفرد من الانحراف مع تيارات الشهوات والأهواء والفتن.

وقد عرفت هذه القيم في الإسلام بالثبات، فهي لا تقبل التغير والتبدل مهما تقادمت عليها الأزمان وإلى يوم القيامة، وهي ربانية المصدر، عالمية الشمول، ثابتة والأصول، مرنة التطبيق، تشمل ميادين الحياة الدنيا والآخرة في توازن واعتدال، تعد الإنسان لعبادة الله حق عبادته، وعمارة الأرض وخلافتها وفق منهج رضيه الله لعباده واختاره لهم.

وهذه القيم الحضارية – أدَّب بها القرآن الكريم والسنة الشريفة– "أدب رباني أبهر العقول، وباتت مبهورة بهذا التشريع السماوي الذي يتفق مع الأدب الجم، والذوق الرفيع، والرقي الإنساني، وسمو المبادئ الإنسانية التي اصطفى بها الله –ﷻ– هذه الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس"(٢)؛ مصداقا لقول الله ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٣) .

---

(١) الرحيق المختوم - صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ) - دار الهلال - بيروت - الطبعة: الأولى (صـ ٥٣٨).

(٢) التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية - علي علي صبح - المكتبة الأزهرية للتراث - (ص: ٢٠٢).

(٣) آل عمران الآية: (١١٠).

وفي هذا البحث إن شاء الله سنكون بصدد الحديث عن بعض القيم الحضارية الواردة في القرآن الكريم فكان البحث بعنوان **(من القيم الحضارية دراسة في ضوء القرآن الكريم)**.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في عدة نقاط منها:-

أولاً: أنها تبرز القيم الحضارية في بناء الإنسان الذي هو محور كتاب الله ﷻ فقد تنزل القرآن الكريم لصلاحه والارتقاء به في شتى الجوانب المادية والروحية.

ثانياً: إن القرآن الكريم يحمل بين دفتيه الطريق الأمثل نحو الحضارات وركن ركين من أساس نهضتها؛ لأنه لا سبيل لأي حضارة شامخة ما لم تتخذ من القرآن الكريم شرعة ومنهاجا، ومنارة وسراجا منيرا.

ثالثاً: التعرف من خلال المنهج القرآني على بعض القيم الحضارية ذلك المنهج الذي يتسم بالدقة والشمول والعمق والأصالة والمعاصرة بل والموضوعية

رابعاً: ما تحتويه كتب التفسير من درر وكنوز نفيسة حول حديث القرآن الكريم عن القيم الحضارية بما هو جدير بالذكر لرصد بعض القيم والاستفادة منها.

أسباب اختيار الدراسة

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع عدة أسباب منها:-

أولاً: حاجة الأمة الإسلامية لهذه القيم التي تساهم بشكل كبير وملحوظ في نهضتها ووحدتها.

ثانياً: إن معرفة القيم الحضارية الموجودة في القرآن الكريم من الأمور الضرورية؛ لأن ذلك له أثر كبير المدى في التعامل مع هذا الهدي الرباني، من استشعارا للعظمة وتذوقا لحلاوته وتنسما لعبيره؛ فهو كتاب تعبد وريادة، ودستور حضارة وقيادة يهدي إلى الصراط المستقيم.

ثالثاً: الأثر الكبير لهذه القيم في الارتقاء بالأمة الإسلامية وحضارتها.

رابعاً: حاجة الأمة لهذه الدراسة المهمة التي تساهم في نهوضها ووحدتها بالإضافة إلى حرصي على أن أقدم شيئاً مفيداً للإنسانية يضيء طريقها ويقود سفينتها، ويلقي المرساة في مرفأ الأمان.

منهج البحث:

سأقوم بعون الله ﷻ وتوفيقه بهذه الدراسة معتمداً على المناهج العلمية التي تخدم البحث في جوانبه كافة، وهي: المنهج الاستقرائي التحليلي ثم المنهج الاستنباطي[1]، فقد استخدمت هذا المنهج

(١) هو: الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة. المرشد في كتابة الأبحاث- حلمي محمد فوده وعبد الرحمن صالح عبد الله جدة: دار الشروق ل - الطبعة السادسة - ١٤١١،١٤١٠هـ- ١٩٩١م. -(صـ٤٢) -

في ثنايا البحث حيث قمت بقراءة الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية ذات الصلة بموضوع الدراسة وفهمها، لتحديد العبر والدروس المستنبطة من الأدلة واستخراجها، ثم المنهج الوصفي[١]، وقد استخدمت هذا المنهج في وصف بعض القيم الحضارية[٢]، وكذلك بعض المناهج العلمية الأخرى التي يقتضيها البحث.

وأما منهجي في البحث فهو كالآتي:

أ. قمت بإذن الله بعزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآيات كما قمت بتخريج الأحاديث والآثار، فما كان في الصحيحين فذلك دليلٌ كافٍ على صحته، وما لم يكن فيهما قمت بتخريجه مع ذكر الحكم عليه، مستعينًا بكلام الأئمة المحققين في ذلك.

ب. قمت بإذن الله بالرجوع إلى المصادرِ الأصيلةِ لجمعِ مادةِ البحث وتوثيقِهَا، من أجلِ تأصيلِ هذا الموضوع المهم، والرجوع به إلى ينابيعِهِ الصافيةِ

ج. التزمت الأمانة العلمية في البحث كله، فنسبت كل قول إلى قائله، ومصدره، وأذكر في الهامش اسم الكتاب، ومؤلفه، والمترجم والمحقق إن وجد، ورقم الجزء ثم رقم الصفحة، ثم دار النشر ورقم الطبعة، وتاريخها إن وجد ذلك وعند عدم وجودها أذكر كلمة "بدون". وإن كان النقل فيه تصرف أشير إلى ذلك، وإن كان هناك اختصارا قلت باختصار وهكذا.

د. قمت بإذن الله بضبطُ النصوص الشعرية والأدبية، وعزوُها إلى من قالها مع بيانِ مَوْضِعِ الشاهِدِ منها إذا احتَاجَ إلى بيانٍ.

هـ. كل مبحث أورده في بحثي فإنني أدلل عليه ببعض الأدلة من القرآن والسنة، خشية الإطالة.

أهداف البحث:

١) بيان مفهوم لفظ القيم ومرادفاتها في اللغة والاصطلاح وعلاقتها بالحضارة.

٢) التعريف بقيمة العدل والحرية والاحسان والتعاون وأثرها في بناء الحضارة.

٣) التعرف على التنافس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتنمية روح الولاء والانتماء للوطن كقيم حضارية في ضوء القرآن الكريم.

---

(١) هو: الذي يعتمد عليه في دراسة الواقعة أو الظاهرة كما توجد في الواقع والاهتمام بوصفها وصفًا دقيقًا والتعبير عنها تعبيرًا كميًا أو كيفيًا ينظر: المرجع السابق نفسه -(صـ٢٦) – بتصرف.

(٢) يقوم هذا المنهج على تحليل ظاهرة من الظواهر للوصول إلى أسباب هذه الظاهرة، والعوامل التي تتحكم فيها، واستخلاص النتائج لتعميمها - أبجديات البحث في العلوم الشرعية- د. فريد الأنصاري- منشورات الفرقان- الطبعة الأولي - ١٤١٧- ١٩٩٧م-(صـ٩٦) بتصرف يسير، والاستقراء في اللغة تعني من قرأ الأمر أي تتبعه، ونظر في حاله، أو من قرأت الشيء: بمعنى جمعته وضممت بعضه إلى بعض، والمراد به هنا: تتبع الموضوع واستقرائه في مظانه وجمع المعلومات المتعلقة به - لسان العرب- محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) - دار صادر – بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ/١٥/١٧٥). بتصرف يسير.

تساؤلات البحث:

١) ما مفهوم لفظ القيم ومرادفاتها في اللغة والاصطلاح وعلاقتها بالحضارة؟

٢) ما التعريف بقيمة العدل والحرية والاحسان والتعاون وأثرها في بناء الحضارة؟

٣) ما العدل كقيمة حضارية في ضوء القرآن الكريم؟

٤) ما الحرية والاحسان والتعاون كقيم حضارية في ضوء القرآن الكريم؟

٥) ما التعرف على التنافس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتنمية روح الولاء والانتماء للوطن كقيم حضارية في ضوء القرآن الكريم؟

الدراسات السابقة:

فإنه بعد البحث والتقصي– حسب جهد الباحث– والاطلاع على قوائم الرسائل الجامعية في كل من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة، والبحث في الإنترنيت، والاتصال بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، تبين للباحث أنه ليس هناك دراسة لها علاقة مباشرة بالموضوع، وإن كان هناك بعض الكتابات المفرقة في جزء منه، من أهمها:

كتاب: قيم حضارية في القرآن الكريم – عالم ما قبل القرآن – **توفيق محمد سبع** – دار المنار– القاهرة – الطبعة الثانية – ١٩٨٤م.

وقد تحدثت هذه الدراسة: (عن معنى الحضارة والثقافة المدنية نشأتها وتطورها، ثم تحدثت عن حضارة الإسلام وحضارة ما قبل الإسلام وأثر الثقافة في حياة المجتمعات، وتحدثت عن الله والكون والإنسان، وذكرت الدراسة أيضًا حضارات قديمة وصفها القرآن الكريم، وقيم حضارية متجددة ومستمرة بين الكتب السماوية والقرآن الكريم، وبينت هذه الدراسة أن القرآن الكريم منبع حضاري متجدد، وذكرت مكانة العقل في حضارة القرآن، وذوقيات حضارية قرآنية).

والفرق بين هذه الدراسة وبين دراستي: أن هذه الدراسة تحدثت عن قيام الحضارات في ضوء القرآن الكريم لكنها لم تذكر القيم الحضارية التي أذكرها بإذن الله في هذا البحث.

خطة الدراسة: قمت بتقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد وسبعة مباحث وخاتمة وفهارس على نحو ما يلي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية الدراسة، وأسباب اختيارها، والدراسات السابقة، وخطة الدراسة والمنهج المتبع فيها.

التمهيد: ويحتوي على:

١. التعريف بمفردات عنوان البحث.

٢. مرادفات مصطلح الحضارة في القرآن الكريم.

المبحث الأول: من القيم الحضارية في القرآن الكريم العدل.

المبحث الثاني: من القيم الحضارية في القرآن الكريم الحرية.

المبحث الثالث: من القيم الحضارية في القرآن الكريم الإحسان.

المبحث الرابع: من القيم الحضارية في القرآن الكريم التعاون.

المبحث الخامس: من القيم الحضارية في القرآن الكريم التنافس.

المبحث السادس: من القيم الحضارية في القرآن الكريم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث السابع: من القيم الحضارية في القرآن الكريم تنمية روح الولاء والانتماء.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج وأبرز التوصيات.

الفهارس: فهرس المصادر والمراجع ثم فهرس الموضوعات.

التمهيد:

ويشتمل على:

أولاً: التعريف بمفردات عنوان البحث.

ثانياً: ورود مادة الحضارة في القرآن ونظائرها.

أولاً: التعريف بمفردات عنوان البحث.

١. تعريف القيم في اللغة والاصطلاح.

{أ} تعريف القيم في اللغة:

القيم في اللغة: جمع قيمة، وهي مشتقة من الفعل قوم، وتأتي على عدة معاني، منها:

١. **الديمومة والثبات:** ومنه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾[١]، أي في مكان تدوم إقامتهم فيه.

٢. **السياسة والرعاية:** ومنه ما قالته العرب عن الذي يرعى القوم ويسوسهم فالقيم: السيد وسائس الأمر.

٣. **الصلاح والاستقامة:** فالشيء القيم ماله قيمه بصلاحه واستقامته ومنه قوله ﷻ﴿دِينًا قِيَمًا﴾[٢] هو الدين القيم الثابت المقوم لأمور الناس ومعاشهم[٣].

(١) سورة الدخان الآية:(٥١).
(٢) سورة الأنعام جزء الآية: (١٦١).
(٣) ينظر: لسان العرب - مرجع سابق: (صـ٥٠٢) - مختار الصحاح - زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) - تحقيق: يوسف الشيخ محمد - المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م - (صـ ٥٥٧).

مـن خـلال مـا سـبق: يمكـن القـول إن القيم فـي الاشـتقاق اللغـوي تطلـق ويـراد بهـا الديمومـة والثبات، والسياسة والرعاية، والصلاح والاستقامة.

{ب} تعريف القيم في الاصطلاح:

عُرفت القيم بعدة تعريفات نذكر أهمها على النحو التالي:

هي: "مجموعة المبادئ والقواعد والمثل العليا التي يؤمن بها الناس ويتفقون عليها فيما بينهم ويتخذون منها ميزاناً يزنون بها أعمالهم، ويحكمون بها على تصرفاتهم المادية والمعنوية"(١).

وقيل القيمة: "معيار وغاية نابعة من الشرع، منبثقة عن العقيدة الإسلامية، يقصدها المسلم عند القيام بالأعمال، ويقف في أعلاها، غاية الغايات مرضاة الله تعالي"(٢)، وقد وردت كلمة القيم في القرآن الكريم في آيات كثيرة تدل على هذه المعاني منها قول الله ﷻ﴿دِينًا قِيَمًا﴾(٣)،"والقيم– بفتح القاف وتشديد الياء– كما قرأه نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب: وصف مبالغة قائم بمعنى معتدل غير معوج، وإطلاق القيام على الاعتدال والاستقامة مجاز، لأن المرء إذا قام اعتدلت قامته، فيلزم الاعتدال القيام، والأحسن أن نجعل القيم للمبالغة في القيام بالأمر، وهو مرادف القيوم، فيستعار القيام للكفاية بما يحتاج إليه والوفاء بما فيه صلاح المقوم عليه، فالإسلام قيم بالأمة وحاجتها، يقال: فلان قيم على كذا، بمعنى مدبر له ومصلح، ومنه وصف الله تعالى بالقيوم، وهذا أحسن لأن فيه زيادة على مفاد مستقيم الذي أخذ جزءا من التمثيلية، فلا تكون إعادة لبعض التشبيه"(٤)، ومنها قول الله ﷻ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾(٥) أي "إن إقامتك وجهك للدين حنيفا، غير مغير ولا مبدل، هو الدين القيم، يعني: المستقيم الذي لا عوج فيه عن الاستقامة من الحنفية إلى اليهودية والنصرانية، وغير ذلك من الضلالات والبدع المحدثة"(٦).

(١) القيم التربوية في القصص القرآني - سيد أحمد الطهطاوي - دار الفكر العربي - الطبعة الأولى - ١٩٩٦م - (ص٤٢).

(٢) محاضرات في فلسفة التربية - عليان عبد الله الحولي - الجامعة الإسلامية، كلية التربية، غزة، ط٢، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م- (ص ٣٦).

(٣) سورة الأنعام جزء الآية: (١٦١).

(٤) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفي: ١٣٩٣هـ) - الدار التونسية للنشر - تونس - سنة النشر: ١٩٨٤ هـ - (٨- / ١٩٩).

(٥) يوسف جزء الآية:(٤٠).

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن - محمد بن جرير أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) - تحقيق: أحمد محمد شاكر- مؤسسة الرسالة - الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م (٢٠/ ٩٩).

ومنها قوله تعالى:﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾[1]، "يعني صادقة مستقيمة لا عوج فيها، ويقال: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ يعني تدل على الصلاح والصواب ولا تدل على الشرك والمعاصي"[2] وبعد استقراء أقوال بعض المفسرين في تفسير المفردات القريبة من مفردة القيم نلخص أن القيم تعني الشيء المستقيم الذي لا اعوجاج فيه المعتدل ولذلك فالقيم الحضارية هي: عبارة عن مجموعة المبادئ والمثل العليا مستمدة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ يعيش المسلم من خلالها فاهما لدينه ضابطا لسلوكه منظما لحياته يختار أهدافه في ضوئها؛ مما يحقق له ولمجتمعة سعادة الدنيا والآخرة.

٢. تعريف الحضارة في اللغة والاصطلاح.

{أ} تعريف الحضارة في اللغة:

أصل الحضارة في اللغة: الإقامة في الحضر كما أن البداوة: السكنى في البادية، والتحضر والحضرة والحاضرة: خلاف البادية وهي المدن والقرى والريف، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار... والحاضر القوم النزول على ماء يقيمون به ولا يرحلون عنه[3].

والحضارة: "الإقامة في الحضر، والحضارة ضد البداوة وهي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني ومظاهر الرقى العلمي والفني والأدبي والاجتماعي"[4].

من خلال ما سبق: يمكن القول إن الحضارة في الاشتقاق اللغوي يطلق ويراد بها الإقامة في الحضر، فهي ضد البداوة.

{ب} تعريف الحضارة في الاصطلاح:

عُرفت الحضارة بتعريفات عديدة منها ما يلي:

هي: "كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه: عقلاً وخلقاً ومادة وروحاً وديناً ودنيا"[5].

وهذا التعريف يعتبر شامل لمعنى الحضارة لاشتماله على الجوانب المادية والحضارية، والأهداف الدينية والدنيوية.

---

(١) البينة: ٣

(٢) بحر العلوم - موافق للمطبوع - أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣ هـ) - تحقيق: د. محمود مطرجي - دار النشر: دار الفكر - بيروت - (٣/ ٥٧٩).

(٣) ينظر: لسان العرب ٩٠٨/٢، ٩٠٩ باختصار مادة ح ض ر- مرجع سابق.

(٤) المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية بالقاهرة - إبراهيم مصطفى وآخرون - دار الدعوة - (١ / ١٨١).

(٥) الإسلام والحضارة الغربية - د/ محمد محمد حسين - المكتب الإسلامي - (صـ ٤) – بدون.

أوهي: "ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان؛ لتحسين ظروف حياته سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداً أم غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية"(١).

وقيل هي: "نظام متكامل يشمل كل ما للإنسان من أفكار وآراء وأخلاق وأعمال في حياته الفردية أو الأسرية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية"(٢).

من خلال ما سبق يمكن القول إن الحضارة نظام شامل يقوم بعمارة الأرض في ضوء المنهج الرباني الذي شرعه لنا رب العالمين وبينه النبي ﷺ وهذه الحضارة تحتاج إلى قلوب طاهرة وأيادٍ متوضئة ونفوس عامرة وعقولٍ زاخرة وهمم عالية. وأن مادة الحضارة وردت في القرآن الكريم بمعاني متعددة التمدن والتحضر والشيء العظيم كما أبين في النقطة التالية بإذن الله.

ثانياً: ورود مادة الحضارة في القرآن ونظائرها.

وردت مادة حضر وبعض مشتقاتها في القرآن الكريم بعدة معاني:

١. من الحضور وهو الشهود ويقابله الغياب، قال تعالى: ﴿ **أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ** ﴾(٣)، ومعنى الآية "حضر يعقوب مقدمات الموت، وإلا فلو حضر الموت لما أمكن أن يقول شيئا"(٤) وقال تعالى:﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ** ﴾(٥)، يعني: "إذا تيقن حضور الموت، ورأى أعلامه، ولم يشكُك في قربهِ منه"(٦).

٢. اجتماع الشيء ووجوده كما ورد في قول الله ﷻ ﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا** ﴾(٧)."أي يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو أن بينهما وبين ذلك اليوم وهو له أمداً بعيداً: أي مسافة بعيدة"(٨).

---

(١) الحضارة - د/ حسين مؤنس - الكتاب رقم١ من سلسلة عالم المعرفة - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت. ص ١٣ - بدون.

(٢) الحضارة الإسلامية أسسها ومبادؤها - دار الطباعة العربية - ص ٥ - بدون.

(٣) البقرة جزء الآية: (١٣٣).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) - تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد - دار الكتب العلمية - بيروت -الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ - (١/ ٢١٤).

(٥) البقرة جزء الآية: (١٨٠).

(٦) التَّفْسِيرُ البَسِيْط - أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) - المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه - عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - (٣/ ٥٤٤).

(٧) آل عمران الآية: (٣٠).

(٨) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) - أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) - حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي - راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو - دار الكلم الطيب، بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م - (١/ ٢٤٨).

٣. ملازمة الشيء لا ينفك عنه قال تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾[١]، ومعنى إحضار الأنفس الشح: أن الشح "حاضر لها لا يغيب عنها أبداً ولا تنفك عنه، يعني أنها مطبوعة عليه"،[٢] ومنه الإتيان بالشيء وإحضاره قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾[٤] أي "مقيمون فيه، وقيل: مجموعون، وقيل: نازلون، وقيل: معذبون، والمعاني متقاربة، والمراد: دوام عذابهم"[٥] قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾[٦]، "أي في جهنم تحضرهم الزبانية فيها"[٧].

ومن هنا فإن مدار الكلمة هو الحضور والشهود، وصلة هذا المعنى بالحضارة أن الحضارة شاهدة على المنجزات والثمرات الناتجة عن العمل، والحضور للعقل وللوعي الإنساني وللإبداع واضح فيها.

٤. أما كلمة الحضر فإنها لم ترد في القرآن الكريم بل وردت كلمة القرية مفردة ومجموعة وكلمة المدينة كذلك في مواضع كثيرة تحمل وصفا لمظاهر الحياة في القرى والمدن، فجاءت القرية في موضع الاعتبار والاتعاظ بمصير القرى الهالكة من ذلك قوله تعالى:﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾[٨] "قال السدي: يقول هي ساقطة على سقفها، أي سقطت السقف ثم سقطت الحيطان عليها، واختاره الطبري. وقال غير السدي: معناه خاوية من الناس والبيوت قائمة، وخاوية معناها خالية، وأصل الخواء الخلو، يقال: خوت الدار وخويت تخوى خواء وخويا: أقوت، وكذلك إذا سقطت، ومنه وقوله تعالى: (خاوية)" أي خالية، ويقال ساقطة، كما يقال:" فهي خاوية على عروشها" أي ساقطة على سقفها، والخواء الجوع لخلو البطن من الغذاء، وخوت المرأة وخويت أيضا خوى أي خلا جوفها عند الولادة. وخويت لها تخوية إذا

(١) النساء جزء الآية: (١٢٨).
(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - د وهبة بن مصطفى الزحيلي - دار الفكر المعاصر - دمشق - الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ - (٢٩١/٥).
(٣) مريم الآية: (٦٨).
(٤) سبأ الآية: (٣٨).
(٥) فتح القدير - محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) - دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ - (٤/ ٢٥٢).
(٦) الروم الآية: (١٦).
(٧) الجامع لأحكام القرآن - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ) - تحقيق: هشام سمير البخاري - دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية - الطبعة: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م - (١٤/ ٣٠٧).
(٨) الحج الآية: (٤٥).

عملت لها خوية تأكلها وهي طعام. والخوي البطن السهل من الأرض على فعيل. وخوى البعير إذا جافى بطنه عن الأرض في بروكه، وكذلك الرجل في سجوده"[١] ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[٢]، وأن القرية هي البلدة العامرة التي يطمع فيها الملوك الجبابرة، لينهبوا خيراتها ويفسدوا عمرانها ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[٣]، ونموذج القرية العامرة المنعمة بعيش رغيد قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾[٦].

وضرب المثل بالقرى الهالكة وعيدا لقريش وتسلية للنبي ﷺ وتثبيتا له ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾[٧]، أي "فلا ناصر لهم ولا معين ولا شفيع ولا وليّ مما كانوا يزعمونه في الدنيا"[٨].

وضرب المثل بالقرية المنحرفة عن منهج الله المعطلة لشرع الله ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾[٩].

٥. وتأتي كلمة المدينة في القرآن مرادفة للقرية وقد تأتي بمعنى المدينة المنورة وقد تأتي بمعنى القرية الكبيرة الحاضرة العامرة، وأصل المدينة غالبا قرية صغيرة امتد عمرانها حتى صارت مدينة، قال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾[١٠].

---

(١) تفسير القرطبي (٣/ ٢٩٠) - مرجع سابق.
(٢) الحج الآية: (٤٨).
(٣) النمل الآية: (٣٤).
(٤) القصص الآية: (٥٨).
(٥) النحل الآية: (١١٢).
(٦) الإسراء الآية: (١٦).
(٧) محمد الآية: (١٣).
(٨) تفسير المراغي - أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر - الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م - (١٤/ ١٢٦).
(٩) الطلاق الآية: (٨).
(١٠) الأحزاب الآية: (٦٠).

"لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة "فإن هذا كله شيء واحد يعني أنه نعتهم بأعمالهم الخبيثة، ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا" يعني لا يساكنونك في المدينة إلا قليلا حتى أهلكهم ويقال إلا جوارا قليلا ويقال إلا قليلا منهم، وقال قتادة إن أناسا من المنافقين أرادوا أن يظهروا نفاقهم فنزلت هذه الآية"(١).

وقال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾(٣) وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(٤) وقال تعالى: ﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ﴾(٦)وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴾(٧) وقال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾(٨) وقال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾(٩) وقال تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(١٠).

وبالنظر والتدبر في هذه الآيات نجد المدينة هي المجتمع العمراني الأوسع الذي يشتمل على مرافق كالمطاعم والأسواق الدائمة وغيرها، والتعبير من أقصى المدينة يشير إلى اتساعها وترامي ما بين أطرافها.

المبحث الأول: من القيم الحضارية في القرآن الكريم: العدل.

العدل أساس الملك ونبراس التقدم والازدهار والنهوض الحضارة وسياجها، وتاجُها ومنهاجُها، لا يمكن أن نتصور حضارة بدون عدل، ولا تنهض الأمم إلا بإقامة العدل، ولا تحرس المدائن والحواضر والقرى والبراري والبوادي إلا بالعدل، به قامت السموات والأرض، وله تنصب موازين القسط، ذلك أن العدلَ واجبٌ في كافة الأمور وسائر الأحوال، قال تعالى في سورة النحل قال تعالى

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم - دار الفكر (٣/ ٧٠) – مرجع سابق.
(٢) الأعراف الآية: (١٢٣).
(٣) التوبة الآية: (١٠١).
(٤) يوسف الآية: (٣٠).
(٥) الحجر الآية: (٦٧).
(٦) الكهف جزء الآية: (١٩).
(٧) الكهف جزء الآية: (٨٢).
(٨) القصص جزء الآية: (١٥).
(٩) القصص جزء الآية: (٢٠).
(١٠) يس الآية: (٢٠).

في سورة النحل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[1]، "فالعدل الذي أمر الله به يشمل العدل في حقه وفي حق عباده، فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقه وحق عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كل وال ما عليه تحت ولايته سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء ونواب الخليفة، ونواب القاضي، والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأمرهم بسلوكه، ومن العدل في المعاملات أن تعاملهم في عقود البيع والشراء وسائر المعاوضات، بإيفاء جميع ما عليك فلا تبخس لهم حقا ولا تغشهم ولا تخدعهم وتظلمهم. فالعدل واجب، والإحسان فضيلة مستحب وذلك كنفع الناس بالمال والبدن والعلم، وغير ذلك من أنواع النفع حتى إنه يدخل فيه الإحسان إلى الحيوان البهيم المأكول وغيره"[2].

"إن الله تعالى جمع الخير كله والشر كله في هذه الآية وقال إن استقامة الملك بالثلاثة المأمور بها في الآية واضطرابه بالثلاثة المنهي عنها فيها"[3]، وفي سورة الأنعام يقول ﷻ ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[4].

فالعدلُ خلقٌ حميدٌ ومسلكٌ في الإسلام دعا إليه القرآن في عهد الدعوة الأول وقبل أن تقوم للإسلام دولة، ويصبح له كيانٌ، وأمر به حين تحقق النصر والتمكين، ففي السور المكية آياتٌ كثيرةٌ تحثُّ على العدل، وكذلك في السور المدنية؛ ذلك أن العدلَ واجبٌ في كافة الأمور وسائر الأحوال.

والعدل: "أمر تقتضيه الحضارة والعمران والتقدم، وتشيد به كل العقول، وأصل من أصول الحكم في الإسلام، ولا بد للمجتمع منه حتى يأخذ الضعيف حقه، ولا يبغي القوي على الضعيف، ويستتب الأمن والنظام، وأجمعت الشرائع السماوية على وجوب إقامة العدل، فعلى الحاكم وأتباعه من الولاة والموظفين والقضاة التزام العدل، حتى تصل الحقوق لأهلها"[5].

---

(١) النحل الآية: (٩٠).
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) - تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق - مؤسسة الرسالة - الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م - (ص: ٤٤٧).
(٣) المنهج المسلوك في سياسة الملوك - عبد الرحمن بن نصر، أبو النجيب، جلال الدين العدوي الشيزري الشافعي (المتوفى: نحو ٥٩٠هـ) - تحقيق: علي عبد الله الموسى - مكتبة المنار - (١ / ٢٤٢).
(٤) الأنعام الآية: (١٥٢).
(٥) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - (٥/ ١٢٤) - مرجع سابق.

فالعدالةُ أساسُ دعوة الأنبياء والرسل – عليهم السلام – قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

فكل الرسالات جاءت لتقر في الأرض وفي حياة الناس ميزاناً ثابتاً ترجع إليه البشرية، لتقويم الأعمال والأحداث والأشياء والرجال؛ وتقيم عليه حياتها في مأمن من اضطراب الأهواء واختلاف الأمزجة، وتصادم المصالح والمنافع، ميزاناً لا يحابي أحداً؛ لأنه يزن بالحق للجميع، ولا يجور على أحد؛ لأن الله رب للناس جميعا، وهذا الميزان الذي أنزله الله في الرسالة هو الضمان الوحيد للبشرية من العواصف والزلازل والاضطرابات التي تحيق بها في معترك الأهواء ومضطرب العواطف ومصطخب المنافسة وحب الذات فلا بد من ميزان ثابت يثوب إليه البشر، فيجدون عنده الحق والعدل والنصفة بلا محاباة ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ فبغير هذا الميزان الإلهي الثابت في منهج الله وشريعته، لا يهتدي الناس إلى العدل، وإن اهتدوا إليه لم يثبت في أيديهم ميزانه، وهي تضطرب في مهب الجهالات والأهواء![2].

من أنواع العدل

للعدل أنواع كثيرة نذكر منها ما يلي:

١. **العدل مع النفس:** وذلك باجتناب ما يوردها المهالك، والإقبال على ما فيه خيرُها وصلاحها، والعمل على تحقيق سعادتها الأبدية في الدارين، ولقد حذَّر القرآن من ظلم المرء لنفسه بالحاق الضرر بها سواء بارتكاب المعاصي أو التمادي في الضلال قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾[4].

---

(١) الحديد الآية: (٢٥).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) - تحقيق سامي بن محمد سلامة - دار طيبة - الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م - (٧/ ٤٩٠) – بتصرف.

(٣) آل عمران الآيتان: (١١٦، ١١٧).

(٤) هود الآيتان: (١٠٠ – ١٠١).

وقال تعالى ﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴾(١).

والواجب على من ظلم نفسه أن يبادر إلى التوبة والإنابة قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(٣).

٢. **العدل في الحكم:** لأنه من الدعائم الأساسية لبناء المجتمع المسلم، حيث تنمو الحضارة وتزدهر في ظل حكم عادل قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾(٥).

قال الشيزري(٦) في المنهج المسلوك في سياسة الملوك : "واعلم أن العدل لا يتحقق من الملك إلا بلزوم عشر خصال":

أحدها: إقامة منار الدين وحفظ شعائره والحث على العمل به من غير إهمال له ولا تفريط بحقوقه.

الثاني: حراسة البيضة والذب عن الرعية من عدو في الدين أو باغ في النفس والمال.

الثالث: عمارة البلدان باعتماد المصالح وتهذيب السبل والمسالك.

الرابع: النظر في تعدي الولاة وأهل العز من الأعوان على الرعية.

الخامس: النظر في أحوال الجند وغيرهم من أهل الرزق لئلا تبخسهم العمال أرزاقهم أو يؤخرون العطاء فيجحف الانتظار بهم.

---

(١) إبراهيم الآية: (٤٥).
(٢) النساء الآية: (٦٤).
(٣) آل عمران الآية: (١٣٥).
(٤) النساء الآية: (٥٨).
(٥) الحجرات الآية: (٩).
(٦) عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، أبو النجيب، جلال الدين العدوي الشيزري: قاضي طبريا. شافعي. نسبته الى قلعة شيزر (قرب المعرة) سكن حلب. له كتب، منها (النهج المسلوك في سياسة الملوك - ط) ألفه للملك الناصر، صلاح الدين الأيوبي، و (نهاية الرتبة في طلب الحسبة - ط) - الأعلام - خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) - دار العلم للملايين - الطبعة: الخامسة عشر - أيار/ مايو ٢٠٠٢ م- (٣/ ٣٤٠).

السادس: الجلوس لكشف المظالم والنظر بين المتشاجرين من الرعية والفصل بينهم بالنصفة على وجه الشرع.

السابع: تقدير ما يخرج من بيت المال على طبقات أربابه من غير إسراف ولا إقتار.

الثامن: إقامة الحدود على أهل الجرائم بالشرع المطهر على قدر الجريمة.

التاسع: اختيار خلفائه في الأمور وولاته وقضاته وعماله بأن يكونوا من أهل الكفاية والأمانة والحذق والدراية فيما هم بصدده.

العاشر: تنفيذ ما وقف من أحكام القضاة وأهل الحسبة وما عجزوا عن تنفيذه لقوة يد المحكوم عليه وتعززه فينفذ الملك ما حكموه عليه بالشرع.

فإذا فعل الملك هذه العشر خصال كان مؤديا لحق الله تعالى في الرعية بالعدل الذي أمر الله تعالى به وكان مستوجبا لطاعتهم ومستحقا لمناصحتهم وإن ترك شيئا من ذلك كان عن العدل ناكبا وفي الجور راغبا[1].

٣. **العدالة في التعامل:** جاءت أطول آية في أطول سورة، بدعوة إلى تحري العدل والإنصاف في المعاملات قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[2]، وجاءت سورة من سور القرآن بالنهي عن التطفيف، وهو بخس الناس حقهم في مقابل استيفاء الحقوق وزيادة، وهذا من ظلم الغير قال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾[3].

(١) المنهج المسلوك في سياسة الملوك - (١ / ٢٤٩) – مرجع سابق.
(٢) البقرة الآية: (٢٨٢).
(٣) المطففين الآيات: (١ – ٦).

فإذا كان الله ﷻ قد نهى عن التطفيف وتوعد فاعليه فما بال من يبخس الناس حقوقهم ويضيّع أموالهم! والسورة مع كونها مكية إلا أنها تحذر من هذا السلوك الظالم، ذلك أن العدل والوفاء بالحقوق من أصول الأحكام التي قامت الشريعةُ الإسلاميةُ على دعائمها.

٤. **العدل الاجتماعي** "ومن أبرز أنواع العدل الذي شدّد فيه الإسلام ما سُمّي في عصرنا: العدل الاجتماعي، ويُراد به: العدل في توزيع الثّروة، وإتاحة الفُرصة المُتكافئة لأبناء الأمّة الواحدة، وإعطاء العاملين ثمرة أعمالهم وجُهودهم دون أن يسرقها الغادرون وذوو النّفوذ منهم، وتقريب الفوارق الشّاسعة بين الأفراد والفئات بعضها وبعض، بالحدّ من طُغيان الأغنياء والعمل على رفع مُستوى الفُقراء"[(١)].

فالعدل دوحة يتفيأ ظلالها كل ضعيف ومهضوم، ويتفتق عنها كل طيِّب من الثمر فبالعدل تقوى الأواصر بين أفراد المجتمع "فإذا كان السلطان عادلاً عمرت الدنيا وأمنت الرعايا"[(٢)].

وقال الأحنف بن قيس: إن الدنيا عمرت بالعدل فكذلك تخرب بالجور لأن العدل يصفو نوره، وتلوح تباشيره، من مسيرة ألف فرسخ والجور يتراكم ظلامه، ويسود قتامة من مسيرة ألف فرسخ. وقال الفضيل بن عياض – رحمه الله – لو كنت أملك دعوة مستجابة ما دعوت بها إلا للسلطان العال؛ لأنه في عدل السلطان صلاح للعباد ورقي للبلاد[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: وأمور الناس إنما تستقيم في الدنيا مع العدل، الذي قد يكون فيه الاشتراك في بعض أنواع الإثم، أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق، وإن لم يشترك في إثم ولهذا قيل: إن الله يأذن بقيام الدولة التي يسودها العدل وإن كان الظلم منتشر فيها ولا يأذن بقيام الدول الظالمة وإن كانت مسلمة، فالدنيا تدوم مع العدل وإن كان الكفر منتشر، ولا تدوم مع الإسلام والظلم، ذلك أن العدل نظام كل شيء، وإذا أقيم أمر الدنيا بالعدل قامت، وإن لم يكن صاحبها من أهل الدين، ومتى لم تقم بالعدل لم تقم وإن كان صاحبها من الإيمان ما يجزي به في الآخرة[(٤)].

من خلال ما سبق: يمكن القول أن العدل أساس الملك، وميزان الحكم بين الناس ومنبع الحضارات وازدهارها، به يأمن الإنسان على نفسه وماله وولده، ويتحقق الطمأنينة والأمن والاستقرار في المجتمعات، فهو سبيل الرقي والتحضر فما قامت الحضارات إلا بالعدل والسير على منهج الله،

(١) ملامح المجتمع المسلم د يوسف القرضاوي مكتبة وهبة. القاهرة الطبعة الثالثة. ٢٠٠١، (ص ١٤٩).
(٢) ينظر: التبر المسبوك في نصيحة الملوك - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) - صححه: أحمد شمس الدين - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م - (١ / ١٦) - بتصرف.
(٣) المرجع السابق نفسه - (١ / ٣٠).
(٤) ينظر: الاستقامة - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) - تحقيق: د. محمد رشاد سالم - جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة - الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ - (٢ / ٢٤٧) - بتصرف يسير.

وما انهارت الحضارات إلا بعدم إقامة العدل والبعد عن منهج الله قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ﴾[1].

"إيذانٌ من الله تعالى بانهدام هذه الحضارة المادية الظالم أهلها، الذين أفادوا منها في البغي والظلم ونشر الفساد في الأرض، ولم ينتفعوا منها في إقامة العدل ورفع راية الحق، بل فرحوا بما أوتوا من العلم وظنوا أنهم تمكنوا من السيطرة على تقلبات الظواهر الطبيعية والكونية، فهنالك يأذن الله تعالى بوضع حدّ لهذا الكبر والغرور إذ لا يليق الكبر إلا بالله العظيم، فهو الجبار المتكبر وحده لا شريك له"[2].

فنخلص أن العدل أساس الحضارات ومهد الأمجاد خاصة إذا كان على منهج الله وسنة النبي ﷺ.

المبحث الثاني: من القيم الحضارية في القرآن الكريم الحرية.

تعتبر الحرية من أهم القيم الحضارية وذلك إن الإسلام في تشريعاته أرسى دعائم الحرية ومبادئها فقد حرر الإنسان من أسر الشّهوات، ومن أغلال الجاهليّات، وحرر العقل من الفلسفات المادّيّة، والمذاهب الهدامة، والدّيانات الوضعيّة التي تُقيّد العقل، وتُعطّله، أو تُطلق له العنان بلا ضابطٍ، أو ميزان، كما حرر القلب من الهمم الدنيئة، وطهره من كُلّ الشّوائب والأكدار، والأهواء، وتجليته من الصدأ والرّان، وتحرير الجسد من أسر الشّهوات وهيمنتها، فالحرية في الإسلام من المقاصد الشرعية، والمبادئ الأساسية التي أرساها الإسلام، فلا سبيل إلي حضارة حقيقية بدون حرية، والحرية في الإسلام حق للفرد، وحق للمجتمع، وهي ليست حرية مطلقة، ولكنها منضبطة منظمة، بحيث لا تصطدم بحرية الآخرين، كما أنها موصولة بجملة من القيم كالعزة والكرامة، والأمن والسلامة والمساواة والعدالة، والعفة والطهارة، وغيرها من القيم السامية، والمقاصد الحسنة التي جاء بها الإسلام الحنيف، ونادت بها الدعوة إليه في كل عصر ومصر على ألسنة الدعاة الدارسين، ومن صور الحرية التي منحها الإسلام للإنسان: حريةَ العقيدةِ وحريةَ التعبيرِ، وحريةَ الرأيِ، وحريةَ الكلمةِ، وحريةَ إصدار القرار، وحريةَ التقاضي والشكوى، وحريةَ التنقلِ، وحريةَ الهجرةِ، وحريةَ التصرفِ في الملكية الخاصة والتأهيل الفردي، وحريةَ الاختيارِ، وغيرَها من الحريات التي أقرها الإسلام وشرحها القرآن ونادى بها المخلصون لربهم ولدينهم؛ إنها الحرية التي تجعل الإنسان لا

(١) يونس جزء الآية: (٢٤).

(٢) التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون - تفسير القرآن الكريم على منهاج الأصلين العظيمين - الوحيين: القرآن والسنة الصحيحة - على فهم الصحابة والتابعين. تفسير منهجي فقهي شامل معاصر - الأستاذ الدكتور مأمون حموش -المدقق اللغوي: أحمد راتب حموش - الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م (٣/ ٦٢٨).

يحاسب إلا على ما قدمت يداه، ولا يعاقب إلا على ما فكر ودبر، وقد تجلى كل تلك المعاني، في القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1]، "أي لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الإسلام، فإنه بيّن واضح جلي دلائله، وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام، وشرح صدره، ونور بصيرته، دخل فيه على نور واضح، ومن ختم الله على قلبه وسمعه، وبصره؛ لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسورا"[2] وقال الله جل شأنه ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴾[3]، وقال ﷻ: ﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾[4]، فهي أي: الحرية ما يشعر به المخلوق في هذا الوجود فهي دائما ملازمة لكرامته الإنسانية، حيث أقر الإسلام مبدأ الحرية في أسمى مظاهرها، وأجلى معانيها.

ولقد شهد بذلك بعض الغربيين: يقول ديورانت[5]: "...كان مركز المرأة المسلمة يمتاز عن مركز المرأة في بعض البلاد الأوروبية؛ حيث إنها كانت حرةَ التصرف فيما تملك لا حقَّ لزوجها أو لدائنيه في شيء من أملاكها...."[6].

وتقول ماكلوسكي: "في ظل الإسلام استعادت المرأة حريتها، واكتسبت مكانة مرموقة، فالإسلام يعتبر النساء شقائق للرجال، وكلاهما يكمل الآخر، إن المرأة المسلمة معززة مكرمة في كافة نواحي الحياة، ولكنها اليوم مخدوعة مع الأسف ببريق الحضارة الغربية الزائف، ومع ذلك فسوف تكشف يومًا ما: كم هي مضللة في ذلك بعد أن تعرف الحقيقة"[7].

فقد جاء الإسلام ليحطم القيود والأغلال التي صنعتها الأساطير والأوهام؛ ليتحرر الإنسان من المذلة والهوان حيث دعوة التوحيد والعبودية الخالصة لله ﷻ، والتحرر من عبادة الأشجار والأحجار

(١) البقرة الآية (٢٥٥).
(٢) تفسير القران العظيم لابن كثير مرجع سابق (١/ ٥٢١).
(٣) الغاشية الآيتان (٢١، ٢٢).
(٤) يونس الآية (٩٩).
(٤) ول ديورانت W. Durant مؤلف أمريكي معاصر، يعد كتابه (قصة الحضارة) واحداً من أشهر الكتب التي تؤرخ للحضارة البشرية عبر مساراتها المعقدة المتشابكة، عكف على تأليفه السنين الطوال، وأصدر جزأه الأول عام ١٩٣٥م، ثم تلته بقية الأجزاء الثلاثين، ومن كتبه: (قصة الفلسفة). - قالوا عن القرآن - عماد الدين خليل - الشاملة الذهبية - بدون (ص١٧).
(٥) قصة الحضارة - ول ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت (المتوفى: ١٩٨١ م) - تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر - ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين - دار الجيل، بيروت - لبنان- ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م (١٣/ ١٤٠).
(٦) ألمانية: كانت تعمل قنصلاً لبلادها، ألمانيا الاتحادية، في بنغلاديش، اهتدت إلى الإسلام وأعلنت إسلامها عام ١٩٧٦م، وشعرت يومها (وكأنها ولدت من جديد) https://rasoulallah.net/ar/articles/article/3069.

والنيران وغيرها من المخلوقات قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[1].

جاء ليتحرر الإنسان من عبادة الحاكم والأحبار والرهبان قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[2].

جاء بتخليص الإنسان من عبودية المال والشهوات قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[3]، "وكانت النتيجة الطبيعية لعقيدة الإيمان بخالق الكون والإنسان ثورة الإنسان على كل عبودية، ثورته على نفسه ليسيطر على أهوائها، وثورته على الملوك المستبدين من القياصرة والأكاسرة، وانتشار الوعي في الشعوب جميعا ذلك الوعي القائم على عادة الله وتعظيمه وحده التعظيم المطلق والنظر إلى جميع الناس ومنهم كبراء الدنيا وملوكها نظرة لا خضوع فيها ولا خوف"[4].

"والقُرآن أعظم كتاب يُنْشئ – العقليّة العِلميّة – التي تنبُذ الخُرافة وتتمرّد على التّقليد الأعمى للأجداد والآباء والسّادة والكُبراء، أو للعوام والدّهماء، وترفُض الظُّنون والأهواء في مقام البحث عن الحقائق والأمور اليقينيّة، ولا تقبل دعوى إلّا ببرهان قاطع، من المُشاهدة المُؤكّدة في الحسيات، ومن المنطق السّليم في العقليّات، ومن النّقل المُوثّق في المرويّات، ويَعتبر القرآن النّظر فريضة، والتّفكير عبادة، والبحث عن الحقيقة قُربة، واستخدام أدوات المعرفة شُكراً لنعم الله وتعطيلها سبيلاً إلى جهنّم ولذلك؛ فإنّ أعظم ما دمّر حُرّيّة الإنسان وأتى على بُنيانها من القواعد اتّخاذ بعض النّاس بعضاً أرباباً من دون الله، ولكي يستردّ النّاس حُرّيتهم وكرامتهم يجب تحطيم هؤلاء الأرباب الأدعياء، والآلهة المزيفين، خصوصاً في أنفسِ الذين توهمهم أرباباً حقّاً وهم مخلوقون مثلهم!، لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نُشوراً، ولقد وعى مُشركو العرب هذه الحقيقة منذ دعا النبيّ ﷺ من أوّل يوم إلى التوحيد، وعلّموا أن وراء هذه الكلمة (لا إله إلّا الله) انقلاباً في الحياة

(١) فصلت الآية: (٣٧).
(٢) التوبة الآية: (٣١).
(٣) آل عمران الآيتان: (١٤ - ١٥).
(٤) نحو إنسانية سعيدة د. محمد المبارك رحمه الله - دار الفكر بيروت - ١٣٨٩ هـ الطبعة الثانية- ص ٥٥.

الاجتماعيّة والسّياسيّة، وأنّها تؤذن بميلاد جديد للبشريّة، ولا سيّما الفُقراء والمساكين والمسحوقين فلا غُرُوّ أن وقفوا في وجهها وجنّدوا كلّ قواهم لحرب كل من آمن بها واستجاب لندائها"[١]، ولذلك فإنه لا يُتصوّر وجود حضارة إلا بوجود معنى حقيقي للحرية، ولذلك قال الإمام محمد أبو زهرة – رحمه الله – عن حقيقة الحرية: إنها" تتكون من حقيقتين:

إحداهما: السيطرة على النفس والخضوع لحكم العقل لا الخضوع لحكم الهوى **والثانية:** "الإحساس الدقيق بحق الناس عليه، وإلا كانت الأنانية، والحرية نقيضان لا يجتمعان"[٢]، فالحرية تعني تحمل المسئولية وعلى قدر تحمل المسئولية تكون الحرية، فالقيم الحضارية الإسلامية أثبتت سموها على المستوى النظري والمذهبي، وعلى المستوى التطبيقي، الأمر الذي تفتقده كل المنظومات الحضارية الأخرى، وخاصة المنظومة الحضارية الغربية التي عانى العالم الكثير بسببها ومازال يعاني، وعلى المستوى الإسلامي فإن الحاجة إلى المشروع الحضاري الإسلامي أكثر حيوية.... لأن المشروع الحضاري الإسلامي لا بد أن يأتي على مستويين: المستوى العالمي وهو المستوى الذي علينا أن نقدم من خلاله إلى العالم طريقاً جديداً مثيراً للخروج من مأزق العالم المعاق ومآسيه وظلماته، وهو المستوى الذي يتضمن التأكيد على قيم الحرية، والعدل، واللا عنصرية،.....[٣].

ويفهم مما سبق أن الحضارة قرينة الحرية فالحرية من القيم الحضارية التي لها دور كبير في ازدهارها ورقيها.

المبحث الثالث: من القيم الحضارية في القرآن الكريم الإحسان.

الإحسان من القيم الحضارية التي أقرها القرآن الكريم وهو من أخلاق أهل الإيمان ومراتبهم التي يتزلفون بها إلى الرحمن، وهو من أسباب النهوض والرقي لما فيه من خيرٍ وصلاح وجود، وهو شريعة الله في السابقين قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾[٤].

(١) ملامح المُجتمع المسلم الذي نُنشده د. يوسف القرضاوي ص ١٣٥ - مرجع سابق.
(٢) محاضرات في المجتمع الإسلامي - الشيخ محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي - القاهرة -(صـ١٨) - بدون.
(٣) المفصل في الرد على الحضارة الغربية - علي بن نايف الشحود - الشاملة الذهبية (٧/ ٦٣).
(٤) البقرة الآية: (٨٣).

ومن الآيات الجامعة لشتى ميادين الإحسان قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾[1].

حيث شمل الإحسان القريب والبعيد والحر والمملوك والمؤمن والكافر والغريب والخادم، والإحسان ليس مجرد ادعاء أو شعارات بل هو خلق كريم وسلوك عملي قويم قال تعالى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ٦٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾[2]، والإحسان من منطلق شكر الله تعالى على إحسانه قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[3]، والإحسان لا جزاء له إلا الإحسان قال تعالى ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾[4]، والإحسان يعني مراقبة الله تعالى في الأقوال والأعمال، ويعني الدقة والإتقان للعمل وتحري الصواب فيه، كما يعني إسداء المعروف وإيصال الخير دون انتظار مقابل وحين تنتشر هذه الخصال المحمودة في المجتمع فإنه يرتقي إلى أعلى المراتب ارتقاء ماديا وروحيا، سياسيا واقتصاديا وأخلاقيا، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾[5] وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾[7]، إن أية حضارة، تمر بمراحل ثلاث:

المرحلة الأولى: هي مرحلة الفكرة، مرحلة الإيمان بالهدف، الذي يملأ على الإنسان نفسه، ويشكل له هاجساً دائماً، وقلقاً سوياً، ويدفعه للعطاء غير المتناهي، والتضحية في سبيل ذلك.

المرحلة الحضارية الثانية: التي تمر بها الأمة، هي مرحلة العقل، وضمور الإيمان، وفتور الحماس، نسبياً.. مرحلة التوازن، بين العمل والأجر، بين الحق والواجب، بين الإنتاج والاستهلاك،

(١) النساء الآية: (٣٦).
(٢) النساء الآيات: (٦٢ - ٦٣).
(٣) القصص الآية: (٧٧).
(٤) الرحمن الآية: (٦٠).
(٥) هود الآية: (٧).
(٦) الكهف الآية: (٧).
(٧) الملك الآية: (٢) .

بين الدنيا والآخرة، دورة ضبط النسب.. حلول العدل، محل الإحسان.. وهنا تصل الحضارة إلى قمتها.

المرحلة الحضارية الثالثة: وتبدأ مرحلة السقوط، إذا لم تستدرك ما يتسرب لها من أمراض، أو مرحلة ما قبل السقوط النهائي، هي مرحلة غياب الإيمان، وبروز الشهوة، والغريزة، وانكسار الموازين الاجتماعية، واستباحة كل شيء وبكل الأساليب، وعندها تسقط الحضارة، وتموت الأمة، ويتم الاستبدال(١).

وقد سُئِلَ الفُضَيْلُ بن عِياض – رحمه الله – عن "أحسنِ العمل" فقال: هو أخلصُه وأصوبُه، قالوا: يا أبا عليّ، ما أخلصُهُ وأصوبُه؟ فقال: إنّ العملَ إذا كان خالِصاً وإن جانب الصواب لم يُقْبَل، وإذا كان فيه صواب لكنه ليس فيه إخلاصا لم يُقْبل، حتى يكونَ خالصاً صوابا. والخالِصُ أن يكونَ لله، والصّوابُ أن يكونَ على السّنّة. ثمّ قرأ قولَهُ تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾(٢)،(٣).

ومن الإحسان العفو والتسامح والبذل والعطاء وكظم الغيظ ومقابلة السيئة بالحسنة قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٤)، وقد وردت لفظة المحسنين في القرآن في ثلاثين موضعا وفي ميادين متباينة في السلم والحرب وفي الرضا والغضب وفي أعمال الخير وفي ميادين القتال وفي أبواب التطوع وفي التعامل مع أهل الكتاب وفي هذا ترغيبٌ للمؤمن في هذا الخلق العظيم الذي يسعد به المجتمع وترقى به الأمم ومن أروع صور الإحسان في حضارتنا الرائدة: ما رآه ابن بطوطة في رحلته إلى الشام: مررت يوماً ببعض طرق دمشق فرأيت به عبدا صغيراً مملوكا كان في يده صفحة من الفخار الصيني فسقطت من يده وكانت تسمى عندهم بالصحن فانكسرت فاجتمع الناس حوله وأشار عليه بعضهم أن يجمع شقفها ويأخذها لصاحب أوقاف الأواني فجمعها الغلام وذهب معه أحد الرجال فأراه إياها فدفع له ما اشترى به ذلك الصحن، وهذا من أفضل الأعمال؛ لأن سيد الغلام من الممكن أن يضربه على كسر الصحن أو ينهره؛ فينفطر قلبه وينكسر فكان هذا الموقف يسود فيه جبر الخاطر فجزى الله أصحاب هذه الهمم العالية التي تساهم في الخير إلى مثل هذا. وأهل دمشق يتنافسون في عمارة المساجد

(١) الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل - جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود - الشاملة الذهبية - (٩/ ١٧٣).
(٢) الكهف الآية: (١١٠).
(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن - أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) - تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور- مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي - دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م (٩ / ٣٥٦).
(٤) آل عمران الآية: (١٣٤).

والزوايا والمدارس والمشاهد وهم يحسنون الظن بالمغاربة، ويطمئنون إليهم بالأموال والأهلين والأولاد وكل من انقطع بجهة من جهات دمشق لا بد أن يتأتى له وجه من المعاش، من إمامة مسجد، أو قراءة بمدرسة أو ملازمة مسجد، يجيء إليه فيه رزقه أو قراءة القرآن، أو خدمة مشهد من المشاهد المباركة، أو يكون كجملة الصوفية بالخوانق، تجري له النفقة والكسوة فمن كان بها غريباً على خير لم يزل مصوناً عن بذل وجهه محفوظاً عما يزري بالمروءة ومن كان من أهل المهنة والخدمة فله أسباب أخرى، من حراسة بستان أو أمانة طاحونة أو كفالة صبيان يغدو معهم إلى التعليم ويروح ومن أراد طلب العلم أو التفرغ للعبادة وجد الإعانة التامة على ذلك. ومن فضائل أهل دمشق عدم فطور لصائم وحده في رمضان البتة حتى ولو كان أميرا أو وزيرا أو من أكابر القوم فإنه يقوم بدعوة الفقراء والمساكين للفطور عنده؛ وكذلك التجار وكبار السوقة يفعلون ذلك ومن كان من الضعفاء وأهل البادية فإنهم يحضرون مجتمعين في دار أحدهم أو في بيت من بيوت الله ويأتي كل واحد بما عنده من طعام فيفطرون جميعا على مائدة واحدة[1].

المبحث الرابع: من القيم الحضارية في القرآن الكريم التعاون.

من القيم الإنسانية الرائعة والأسس الحضارية الرصينة التعاون الإنساني، فالتعاون ضرورة من ضرورة الحياة ولولاه لما استقامت، فالإنسان لا ينهض وحده بكل متطلبات الحياة بل جعل الله الناس متفاوتين متفاضلين ليكمل بعضهم بعضا، ويخدم بعضهم بعضا، هذا على مستوى الأفراد والشعوب، كذلك على مستوى الأمم، قال تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[2].

والتعاون بين البشر من فطرة الله التي فطر الناس عليها، يقول ابن خلدون في مقدمته:" الإنسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيوانيته من الحس والحركة والغذاء والكَنّ وغير ذلك وإنما تميز عنها بالفكر الذي يهتدي به لتحصيل معاشه والتعاون عليه بأبناء جنسه والاجتماع المهيأ لذلك التعاون، وقبول ما جاءت به الأنبياء عن الله تعالى والعمل به واتباع صلاح أخراه"[3].

وقال: "قد عرف وثبت أن الواحد من البشر غير مستقل لتحصيل حاجاته في معاشه وأنهم متعاونون جميعا في عمرانهم على ذلك، والحاجة التي تحصل بتعاون طائفة منهم تشتد ضرورة

(١) ينظر: رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) - محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة (المتوفى: ٧٧٩هـ) - أكاديمية المملكة المغربية، الرباط - ١٤١٧ هـ - ١ / ٤٧- بتصرف.

(٢) الزخرف الآية:(٣٢).

(٣) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون (المتوفى: ٨٠٨هـ) - تحقيق: خليل شحادة - دار الفكر، بيروت - الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م- (٤٢٩/١).

الأكثر من عددهم أضعافا، فالقوت من الحنطة مثلا لا يستقلّ الواحد بتحصيل حصته منه وإذا انتدب لتحصيله الستة، أو العشرة من حدّاد ونجار للآلات وقائم على البقر وإثارة الأرض وحصاد السنبل وسائر مؤن الفلح وتوزعوا على تلك الأعمال أو اجتمعوا وحصل بعملهم ذلك مقدار من القوت فإنه حينئذ قوت لأضعافهم مرات فالأعمال بعد الاجتماع زائدة على حاجات العاملين وضروراتهم"(١).

ويقول في موضع آخر فيه مزيد بيان: "إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وركّبه على صورة لا يصلح حياتها ولا بقاؤها إلا بالغذاء، وهداه إلى التماسه بفطرته، وبما ركّب فيه من القدرة على تحصيله، إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء، غير موفيه له بمادة حياته منه، ولو فرضنا منه أقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلا، فلا يحصل إلا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ، وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج إلى مواعين وآلات لا تتم إلا بصناعات متعددة من حداد ونجار وفاخوري، هب أنه يأكل حبا من غير علاج؛ فهو أيضا يحتاج في تحصيله حبا إلى أعمال أخرى أكثر من هذه؛ الزراعة والحصاد والدراس الذي يخرج الحب من غلاف السنبل، ويحتاج كل واحد من هذه إلى آلات متعددة وصنائع كثيرة أكثر من الأولى بكثير، ويستحيل أن توفي بذلك كله أو ببعضه قدرة الواحد، فلابد من اجتماع القُدر الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم"(٢).

فاللبنات المتناثرة هنا وهناك لا قيمة لها لكن حين يبنى بها جدار فترى البنيان مرصوصا تدرك أهمية التماسك ومتانة الترابط وقوة التعاون قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾(٣).

وعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ (بَعْضُهُمْ) بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ(٤). وقال الله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾(٥).

بالتّعاون والتّضامن بنى ذو القرنين أعظم سدٍّ عرف في حضارة التاريخ قال تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴾(٦).

(١) المرجع السابق نفسه - (٣٦٠/١).
(٢) المرجع السابق نفسه -(١ / ٣٦٠).
(٣) الصف الآية: (٤).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب المظالم - باب نصر المظلوم - (١٢٩/٣) - حديث (٢٤٤٦).
(٥) المائدة الآية: (٢).
(٦) الكهف الآيات: (٩٥ – ٩٧).

وسئل سفيان بن عيينة عن قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ فقال: هو أن تعمل به وتدعو إليه وتعين فيه وتدل عليه(١).

وقال ابن القيم – رحمه الله – في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ الآية حيث "اشتملت هذه الآية على جميع مصالح العباد في معاشهم ومعادهم فيما بينهم بعضهم بعضا وفيما بينهم وبين ربهم، فإن كل عبد لا ينفك عن هاتين الحالتين وهذين الواجبين: واجب بينه وبين الله وواجب بينه وبين الخلق، فأما ما بينه وبين الخلق من المعاشرة والمعاونة والصحبة فالواجب عليه فيها أن يكون اجتماعه بهم وصحبته لهم تعاونا على مرضاة الله وطاعته التي هي غاية سعادة العبد وفلاحة وهي البر والتقوى اللذان هما جماع الدين كله"(٢).

ثم بيّن أهمية التعاون على البر والتقوى وأنه من مقاصد اجتماع الناس فقال: "والمقصود من اجتماع الناس وتعاشرهم هو التعاون على البر والتقوى، فيعين كل واحد صاحبه على ذلك علما وعملا، فإن العبد وحده لا يستقلُّ بعلم ذلك ولا بالقدرة عليه؛ فاقتضت حكمة الرب سبحانه أن جعل النوع الإنساني قائما بعضه ببعضه معينا بعضه لبعضه"(٣).

وقال البيهقي– رحمه الله–: في شعب الإيمان "باب في التعاون على البر والتقوى قال الله ﷻ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾(٤)، ومعنى هذا الباب أن المعاونة على البر بر؛ لأنه إذا عدمت مع وجود الحاجة إليه لم يوجد البر وإذا وجدت وجد البر فبان بأنها في نفسها بر ثم رجح هذا البر على البر الذي ينفرد به الواحد بما فيه من حصول بر كثير مع موافقة أهل الدين والتشبه بما بني عليه أكثر الطاعات من الاشتراك فيها وأدائها بالجماعة"(٥).

وهذا الكلام يدل قطعا على أن توزيع المهمات لإنجاز الأعمال من التعاون المطلوب وأن هذا التعاون بين الأفراد ينتقل بعمل كلّ منهم ليصبح وظيفة عامة اجتماعية تكفل العيش لعدد كبير من المجتمع، فالتعاون بين الأفراد وتقسيم العمل ظاهرتان ملازمتان للإنسان ولا غنى له عنهما، وأنّ تعاون المجموعة لا يُنتج ما يكفيهم فقط وإنما يزيد ويفيض.

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) - السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م - دار الكتاب العربي – بيروت – (٧ /٢٨٤).
(٢) زاد المهاجر إلى ربه - محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) - تحقيق: د. محمد جميل غازي - مكتبة المدني - جدة (٦، ٧).
(٣) المرجع السابق نفسه - (ص ١٣).
(٤) المائدة الآية: (٢) .
(٥) شعب الإيمان - أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) – تحقيق- الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد - مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند - الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م- (١٠١/٦).

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فلقد كان يشارك أصحابه مشاركة فعالة في السلم والحرب، فعن سَهْل بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيّ ﷺ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْخَنْدَقِ وَهُوَ يَحْفِرُ وَنَحْنُ نَنْقُلُ التُّرَابَ وَيَمُرُّ بِنَا فَقَالَ اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ تَابَعَهُ سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ ﷺ مِثْلَهُ[1].

ولذلك "أكد الإسلام على فطرة الله بالحث على إشباع الحاجة إلى الصحبة، فأمر كل مسلم بالاهتمام بالجماعة، والانتماء إليها، والحرص عليها، وحث على الألفة، والتعاون بين الناس"[2]. فالتعاون من أصول البناء والتواصل الحضاري بين الأفراد وبين الأمم والشعوب.

المبحث الخامس: من القيم الحضارية في القرآن الكريم التنافس.

التنافس من القيم الحضارية التي ذكرها القرآن الكريم "فليس عجيبًا أن يفوق امرؤ أخاه في علمٍ، أو خبرة، أو في أي مجال من مجالات الحياة، كما أنه ليس من المستهجَن أن يسعى الأدنى للحاق بالأعلى، وأن يبذل جهدَه للتفوق عليه، في حدود ابتغاء رضا الله، والسلامة من آفات الكبر، والعُجْب، والرياء وبقيد طهارة المشاعر القلبية، ونقاء العلاقات الأخوية"[3].

لذا دعا الإسلام إلى التنافس، والتسابق، والتسارع إلى فعل الخيرات والطاعات والقربات؛ وبين ﷻ أنه ميدان مفتوحٌ للجميع، وبه يحصل الإنسان على الجائزة الكبرى، وهي الفوز بجنات واسعة تتسع لكل المسارعين، والمنافسين في الخيرات، دلّ على ذلك نصوص كثيرة من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة؛ قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[4].وقال ﷻ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[5]. ومدح الله ﷻ الأنبياء بهذه الصفة الحميدة فقال: ﷻ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[6].

"ولما ذكر هؤلاء الأنبياء والمرسلين، كلا على انفراده، أثنى عليهم عموما فقال: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ} أي: يبادرون إليها ويفعلونها في أوقاتها الفاضلة، ويكملونها على الوجه

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه - كتاب الرقاق - باب ما جاء في الصحة والفراغ وأن لا عيش إلا عيش الآخرة - (٢٥/٤) - حديث (٢٨٣٤).
(٢) الانتماء الوطني وعلاقته ببعض متغيرات الشخصية لدى عينة من طلاب المرحلي الثانوية بمدينتي مكة المكرمة، وجده - د/ عبد الله بن رمزي بن عبدالله الحربي - (صـ ١٤) رسالة ماجستير المملكة العربية السعودية كلية التربية - قسم علم النفس - ٢٠١٠م.
(٣) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا - أبو أسامة، محمود محمد الخزندار (المتوفى: ١٤٢٢هـ) - (صـ: ٢٠١) - دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية - الطبعة: الثانية، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧.
(٤) آل عمران الآية (١٣٣).
(٥) الحديد الآية (٢١).
(٦) الأنبياء جزء الآية (٩٠).

اللائق الذي ينبغي ولا يتركون فضيلة يقدرون عليها، إلا انتهزوا الفرصة فيها، {وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا} أي: يسألوننا الأمور المرغوب فيها، من مصالح الدنيا والآخرة، ويتعوذون بنا من الأمور المرهوب منها، من مضار الدارين، وهم راغبون راهبون لا غافلون، لاهون ولا مدلون، {وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} أي: خاضعين متذللين متضرعين، وهذا لكمال معرفتهم بربهم"(١).

وقال ﷻ بعد وصف عباده الصالحين الذين يقومون بالأعمال الصالحة ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾(٢)، وأمرنا الله بالمنافسة، والتسابق في الخيرات، فقال في محكم التنزيل: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾(٣).

ودعا الله إلى التنافس فقال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾: أي فليستبق في تحصيل ذلك المتسابقون، وأهل التنافس: التغالب في الشيء النفيس، وأصله في النفس لعزّتها وهو الذي تحرص عليه نفوس الناس، ويريده كل واحد لنفسه والمنافسة مجاهدة النفس للتشبه بالأفاضل، واللحق بهم، وهي بهذا المعنى من شرف النفس، وعلو الهمة(٤).

والتنافس: "أن يَنفِس الرجل على الرجل بالشيء يكون له، ويتمنى أن يكون له دونه، وهو مأخوذ من الشيء النفيس وهو الذي تحرص عليه نفوس الناس، وتطلبه وتشتهيه، وكان معناه في ذلك. فليجدّ الناس فيه، وإليه فليستبقوا في طلبه، ولتحرص عليه نفوسهم"(٥). وقال ﷻ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾(٦). فالسابقون هم الذين يتسابقون في الدنيا إلى الخيرات، حتى يسبقوا في الآخرة إلى الجنات.

قال ابن القيّم– رحمه الله–: "السَّابِقُونَ في الدُّنْيا إلى الخَيْراتِ هُمْ السَّابِقُونَ يومَ القَيامةِ إلى الجنَّات"(٧)، فإسلامنا "دينُ المحبّة، والوئام، دين التّعاون، والتّضامن يُغلق أبواب الصراع، ويفتح أبواب التّنافس إلى الخيرات، والتّسابق إلى المغفرة والجنّات، والتعاون على البر، والتقوى، مِضمار

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٣٠) - مرجع سابق.
(٢) المؤمنون الآية (٦١).
(٣) البقرة جزء الآية (١٤٨).
(٤) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - شهاب الدين الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) - تحقيق: علي عبد الباري عطية - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - بتصرف بسيط.
(٥) جامع البيان في تأويل القرآن - (٢٤/ ٢٩٩) - مرجع سابق.
(٦) الواقعة الآيات (١٢:١٠).
(٧) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) - مطبعة المدني، القاهرة - (صـ١١٥) - بدون.

فسيح وميدان رحيب، يتّسعُ للجميع فالقاعدة التي نبني عليها علاقاتنا، وتعاملاتنا في هذا الكون، التنافس المحمود الذي يذكي شعلة الجِدّ، والعمل ويثير العقول، ويحفز الهمم نحو المعالي"(١).

وقد سرت روح التنافس في نفوس أصحابِ الهمم، وأعلاهم قدرًا أنبياء الله صلوات ربي وسلامه عليهم؛ فنبي الله موسىعليه السلام بكى لما تجاوزه النبي ﷺ غبطةً فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: (أبكي لأن غلامًا بعث بعدِي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي)(٢).

والفرق بين التنافس المحمود، والتنافس والمذموم:

التنافس المحمود يكون في ميادين البر، مع ضبط عمل المتنافس وسلوكه بأن لا يكون عجبا وخيلاء، ليصل إلى لتحقيق الغاية المرجوة منه، قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾(٣). فالمتنافس: صاحب الهمة العالية، يسعى ليكون أول المتسابقين للرقي، والحصول على معالي الأمور في الدنيا والآخرة، فهو: لا يعني التحاسد، والشقاق والعراك على دنيا زائلة ففي الحديث الشريف: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قيل لرسول الله ﷺ أي الناس أفضل قال: (كل مخموم القلب صدوق للسان). قالوا صدوق اللسان نعرفه. فما مخموم القلب؟ قال: (هو التقي النقيُّ. لا إثم فيه، ولا بغي، ولا غلّ، ولا حسد)(٤)، ولذلك: "فالأمة الإسلامية، مسالمة مع نفسها. لا تعرف الصراع الذي يؤدي إلى التنازع، ولا تعرف التنافس؛ الذي يقود إلى الأنانية والظلم، والخيلاء والعجب، وإنما يعيش أبناؤها في سلام، ومحبة، وتعاون، وتألف على فعل الخير، وتآزر، وتكامل، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر.

ولعل التنافس الوحيد بين أبنائها، على مستوى أقطار الأمة وبين غيرهم هو: ذلك التنافس في طاعة الله، وفي العمل الصالح، والمسالمة مع غيرهم في أي زمان ومكان(٥).

فدعوة الإسلام دعوة التنافس إلى كلِّ عملٍ صالحٍ، يعود بالنفع على الفرد، والمجتمع، لا لما فيه من نفعٍ فحسب؛ بل طاعةً لله ورسوله، وابتغاءَ مرضاة ربِّ العالمين. ولذلك قال بعض العلماء: "إن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل"(٦).

---

(١) ينظر: مؤتمر السيرة النبوية الخامس بعنوان المجتمع المسلم. لسنة ٢٠١٣م - د/ احمد محمد الشرقاوي سالم - الجامعة الإسلامية جنوب البنجاب. المملكة العربية السعودية - (صـ٤٣).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه - كتاب مناقب الأنصار - باب المعراج - (٥٢/٥) - حديث (٣٨٨٧).

(٣) البقرة الآية (٢٠٧).

(٤) أخرجه بن ماجة في سننه - باب الورع والتقوى - (٢٩٩/٥) - حديث (٤٢١٦) وقال المحقق حديث صحيح، وأخرجه الشيخ الألباني في السلسة الصحيحة (٦٣٢/٢) - حديث (٩٤٨)، وقال حديث إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٥) علم الاجتماع الإسلامي التصوير القرآني للمجتمع المسلم نظرية الإسلام الاجتماعية - د/ صلاح مصطفى الفوال - دار الفكر العربي. - بتصرف (١ / ٧٣)، بدون.

(٦) علو الهمة - محمد إسماعيل المقدم - دار القمة - دار الإيمان- مصر - ٢٠٠٤ م - (صـ: ٢٠٩).

وأما التنافس المذموم: فهو تنافس على أمور الدنيا الفانية، الذي يكون لغرض دنيوي يصيب المجتمع في مقتل، وكان مصدر خوف النبيﷺ على الأمة؛ لذلك حذر منه النبي ﷺ كما جاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: (أبشروا، وأملوا ما يسركم، فو الله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم)[١] فالتنافس المذموم التنافس على الدنيا؛ لأنه يثير الحقد، والضغينة، ويؤدي إلى الاختلاف والفرقة، ولذلك قال البعض: "من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياه فألقها في نحره"[٢]. وقيل أيضاً: "النفس قد جبلت على حب الرفعة، فهي لا تحب أن يعلوها جنسها، فإذا علا عليها شق عليها، وكرهته، وأحبت زوال ذلك ليقع التساوي، وهذا أمر مركوز في الطباع؛ فأما إن أحب أن يسبق أقرانه، ويطلع على ما لم يدركوه، فإنه لا يأثم بذلك؛ لأنه لم يؤثر زوال ما عندهم عنهم، بل أحب الارتفاع عنهم؛ ليزيد حظه عند ربه كما لو استبق عبدان إلى خدمة مولاهما، فأحب أحدهما أن يستبق"[٣]، كما حبب الإسلام في التمني للتنافس المحمود؛ فعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل، وآناء النهار، فسمعه جار له، فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالا، فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل)[٤]، "فالحسد المذكور في الحديث هو الغبطة وأطلق الحسد عليها مجازا وهي: أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه، والحرص على هذا يسمى منافسة، فإن كان في الطاعة، فهو محمود ...."[٥]، وإن كان غير ذلك فهو مذموم.

من خلال ما سبق نخلص: أن التنافس من أفضل القيم الحضارية إذا كان محمودا؛ لأن المتنافس صاحب الهمة العالية، الذي يسعى ليكون أول المتسابقين للرقي لمعالي الأمور في الدنيا والآخرة، ولا يكون ذلك إلا بهمته العالية التي هي الحياة، والنور الساطع الذي يسترشد به الغرباء في زمن الظلمة.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه - كتاب الجزية - باب الجزية والموادعة مع أهل الكتاب - (٩٦/٤) - حديث (٣١٥٨).

(٢) علو الهمة - (صـ: ٢٠٩) – مرجع سابق.

(٣) مُخْتَصرُ مِنْهَاجِ القَاصدِينْ - نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٨٩هـ) - (صـ١٨٦) - قدم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان - مكتَبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م بدون.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه - كتاب فضائل القرآن - باب اغتباط صاحب القرآن - (١٩١/٦) - حديث (٥٠٢٦).

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري - أحمد بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي - دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ – تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي – تخريج: محب الدين الخطيب - تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١/ ١٦٧).

المبحث السادس: من القيم الحضارية في القرآن الكريم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أفضل القيم الحضارية بل من أشرف الأعمال وأسمي المطالب، فهو مهمة الأنبياء والرسل – عليهم والسلام– وهي الميراث الإلهي، والوسيلة الأساسية؛ لبناء المجتمعات نحو المستقبل المنشود، والهدف من تحقيق الخلافة في الأرض كما قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[1]، ولذلك "فالمؤمن عقيدته مبنية علي الاقناع وعلي الخير، فإن وجد في مؤمن شر، فوليه من المؤمنين يبعده عن الشر، وبعيده إلي طريق الخير، والمؤمن أيضا ينبه غيره ويبصره، لأن كل واحد في المجتمع المؤمن... يرد الآخر في نقطة ضعفه، وكل منهم ينصح الاخر ويعظه؛ ليكتمل إيمان المجتمع، ومن يقصر في شيء يجد القريب منه، وهو يسد الثغرة الطارئة في سلوكه"[2].

"فتلك الوظيفة فريضة دينية إسلامية مقدسه، تحمي قلب الأمة من الأمراض التي تفتك بالشعوب، وتبعث العزة والكرامة في الصدور، وتقمع العصاة كما تردع الظالمين...، فالمجتمع إذا لم يأخذ على أيدي الفساق والعصاة والمفسدين والطغاة؛ فسدوا وانتشرت فيه ميكروبات الانحلال والضعف، وتنزل عليه عضب الله"[3].

ولذلك فللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقاصدُهُ الساميةُ وأهدافُهُ العليا، فهو واجبٌ شرعيٌّ وأمرٌ ضروريٌّ، به تقامُ الحجة، وهو قاربُ النجاةِ.

قال تعالى ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾[4].

يقول تعالى "فهلا وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير ينهون عما كان يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الأرض، وقوله: {إلا قليلا} أي قد وجد منهم من هذا الضرب قليل لم يكونوا كثيرا وهم الذين أنجاهم الله عند حلول غضبه وفجأة نقمته ولهذا أمر الله تعالى هذه الأمة

(١) الحج الآية:(٤١).
(٢) تفسير الشعراوي - محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) - مطابع أخبار اليوم - (٥٢٨٥/٩).
(٣) دولة القرآن – طه عبد الباقي سرور – (صـ ١٢٩) – دار الفكر العربي – بدون.
(٤) هود الآية: (١١٦).

الشريفة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر"[١] كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢].

فهذا أمر من الله لأمة الإسلام أن تكون بكامل أفرادها قائمة على قدم وساق، لا يغفلون ولا يتهاونون ولا يتوانون في الدعوة إلى الخير، وفي الأمر بالمعروف والنهي عنه، وقد حكم الله بأنّ الفلاح مختص بهذه الأمة وحدها إن هي فعلت ذلك، وهذا يعني أن يكون في الأمة أناس هم أعمدة الأمة وحداتها والحراس لدينه، يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولو خلت الأمة من هؤلاء انفرط عقدها، وانتشر الفساد في أرجائها، وكانت عرضة للزوال، ولذلك قال الضحاك في هذه الفرقة: "هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة" يعني المجاهدين والعلماء، وهذا لا يتعارض مع أن تكون أمة الإسلام بأكملها قائمة على شريعة الله حامية لحوزة الدين، وليقم كل واحد بدوره، حسب موقعه وظروفه[٣].

قال أبو السعود – رحمه الله –: "أمرهم الله سبحانه بتكميل الغير وإرشادِه إثرَ أمرِهم بتكميل النفس وتهذيبِها، بما قبله من الأوامر والنواهي؛ تثبيتاً للكل على مراعاة ما فيها من الأحكامِ، بأن يقومَ بعضُهم بمواجبها ويحافظَ على حقوقها وحدودِها ويذكرَها الناسَ كافةً ويردَعَهم عن الإخلال بها"[٤].

من هنا ندرك: أهميَّةُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحقيق الفلاح للأفراد والمجتمعات، وكيف كانت هذه الأمة خاتمة الأمم ورسالتها خاتمة الرسالات لمحافظتها على مقومات البقاء والدوام؛ من الاستمرار في الدعوة إلى الخير، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففي الدعوة إلى الخير النماء والازدهار وفي النهي عن المنكر صيانتها عن عوامل الفناء، وكل مجتمع توفرت له عوامل النماء والازدهار، وسلم من دواعي الفناء والدمار لا شك يستطيع مواصلة سيره، وتحقيق هدفه، وفوزه وفلاحه ... "[٥].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قيامٌ بواجبٍ شرعيٍّ، وأداءِ رسالةٍ ساميةٍ، وليس كما يدَّعيه البعضُ أنه حجرٌ على العقول وتقييدٌ للحريات وحبسٌ للأنفاس وتضييقٌ على الناس، أو تدخُّلا في شئونهم، وتعرُّضا لخصوصياتهم، أو اعتداء على حرياتهم وسلبا لإرادتهم، بل نقولُ إنه قيمةٌ إنسانيةٌ عظيمةٌ، وشرعةٌ ربانيةٌ حكيمةٌ، ورسالةٌ إيجابيةٌ كريمةٌ، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ

(١) تفسير ابن كثير- (٢/ ٥٦٥).
(٢) آل عمران الآية: (١٠٤).
(٣) ينظر: التفسير الموضوعي - مناهج جامعة المدينة العالمية - بكالوريوس - جامعة المدينة العالمية - (ص: ١٣) – كود المادة - IUQR4093.
(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) - دار إحياء التراث العربي – بيروت – (٢ / ٦٧).
(٥) آيات الهداية والاستقامة في كتاب الله تعالى - الشيخ عطية سالم - ٩٦/١، ٩٧ - بدون.

بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

فمن أسمى أوصاف أهل الإيمان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو سرُّ بقائهم وارتقائهم، واستحقاقهم لرحمة الله تعالى التي تغمرهم في دنياهم وتغشاهم في أخراهم، وقال تعالى ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾[2]، وسر التعبير بـ ﴿ وَتَوَاصَوْا ﴾ "أنه تعالى مدحهم بما صدر منهم في الماضي وذلك يفيد رغبتهم في الثبات عليه في المستقبل"[3].

"والحق هو الأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، ولا زوال في الدارين لمحاسن آثاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله"[4]، وقد أكد العلماء على هذه الفضيلة فقال الإمام النووي – رحمه الله – "واعلم أن هذا... باب عظيم به قوام الأمر وملاكة... فينبغي لطالب الآخرة، والساعي في تحصيل رضا الله ﷻ أن يعتني بهذا الباب فان نفعه عظيم، ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته فان الله تعالي يقول: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[5]، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[6]وقال تعالى:﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾[7]

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[8]. واعلم أن الأجر علي قدر النصب، ولا يتركه أيضا لصداقته ومودته، ومداهنته، وطلب الوجاهة عنده، ودوام المنزلة لديه، فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقا، ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلي مصالح آخرته، وينقذه من مدارها، وصديق الإنسان ومحبه هو من سعي في عمارة آخرته، وإن أدي ذلك الي نقص في دنياه، وعدوه من يسعي في ذهاب أو نقص آخرته، وإن حصل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه، وإنما كان ابليس عدوا لنا لهذا، وكانت الانبياء، صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين، أولياء للمؤمنين؛

(١) التوبة الآية: (٧١).
(٢) العصر الآيات: (١ - ٣).
(٣) التفسير الكبير - أبو عبد الله محمد الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ) - دار إحياء التراث العربي - بيروت- الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ ٩٠/٣٢.
(٤) إرشاد العقل السليم ٩٠١/٥ - مرجع سابق.
(٥) الحج جزء الآية: (٤٠).
(٦) آل عمران جزء الآية: (١٠١).
(٧) العنكبوت الآيتان: (١، ٢).
(٨) العنكبوت جزء الآية: (٦٩).

لسعيهم في مصالح آخرتهم، وهدايتهم اليها"[١]، والمتتبع للقصص القرآني يجد أن أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، بذلوا جل جهدهم في نصح اقوامهم، وارشادهم الي ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، فقد قاموا بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علي أكمل وجه كما حكي القران الكريم عنهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات أهل النصر والتمكين قال تعالى في سورة الحج ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[٢]، وترك التواصي بالحق من أسباب التراجع والضعف والهلاك، قال تعالى في سورة المائدة قال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[٣]، وجاء عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ! ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنْ الْغَدِ فلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ثُمَّ قَرَأَ ﷺ ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ -سورة المائدة -، ثُمَّ قَالَ: (كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيْ الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا)[٤]، وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[٥] قال الإمام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية الكريمة: "المعنى أن تكون هناك فرقة من هذه الأمة متصديةً لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فردٍ بحسبه"[٦].

إن المتبع لدعوات الأنبياء والرسل – عليهم السلام – يجد أن أنبياء الله بذلوا كل جهدهم في نصح أقوامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أكمل وجه، وأحسن بيان، ومن ثم كان بناء الحضارات والأمجاد بفضل هذه الفريضة.

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) - دار إحياء التراث العربي – بيروت - الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ – (٢١٤/٢).
(٢) الحج الآية: (٤٠).
(٣) المائدة الآيتان: (٧٩، ٨٠).
(٤) رواه أبو دَاوُد في السنن أول كتاب الملاحم. باب الأمر والنهي. الحديث رقم: ٤٣٣٦- ورواه ابن ماجة في السنن - كتاب الفتن. باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. الحديث رقم: ٤٠٠٦- ورواه الترمذي في السنن وقال حسن غريب.
(٥) الأنفال الآية: (٢٥).
(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير- ٣٩١/١- مرجع سابق.

المبحث السابع: من القيم الحضارية في القرآن الكريم تنمية روح الولاء والانتماء بأنواعه.

إن تنمية روح الولاء والانتماء من القيم الحضارية التي حث عليها القرآن الكريم ولذلك نجد حرص الإسلام على أن يكون ولاء المسل وانتمائه لدينه من أول لحظة يعلن فيها الشهادتين، والبراءة من كل معبود سوى الله والأدلة على ذلك كثيرة في كتاب الله منها ما يلي: منها قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[1] أي ليس لكم أيها المؤمنون ناصرٌ إلا اللهُ ورسولُه، والمؤمنون، الذين صفتهُم ما ذكر تعالى ذِكْرُهُ، فأمّا اليهود، والنصارى الذِين أمركم الله أن تبرّأوا من وَلايته ونهاكم أن تتخذوا منهم أولياء، ولا نُصراء، فليسوا لكم أولياءَ، ولا نُصراء، بل بعضُهم أولياء بعض، ولا تتخذوا منهم وليًّا ولا نصيراً وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ هذا إعلامٌ من الله تعالى ذِكْرُه عبادَه جميعاً الذين تَبَرَّأوا من حِلْفِ اليهود وخلعوهم، رضاً بولاية الله ورسوله والمؤمنين، والذين تمسّكوا بحلفهم، وخافوا دوائر السَّوْء تدور عليهم فسارعوا إلى موالاتهم بأنَّ من وثق بالله، وتولَّى اللهَ ورسولَه، والمؤمنين، ومن كان على مثل حاله من أولياء الله من المؤمنين، لهم الغلبةُ، والدوائرُ، والدولةُ على من عاداهم، وحادَّهم؛ لأنهم حزبُ الله، وحزبُ الله هم الغالبون دون حزب الشيطان[2].

ومن الآيات التي تدل على الولاء أيضا قول الله ﷻ: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[3] وقول الله ﷻ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[6]. فهذه النصوص الكريمة تثبت مدى منة الله سبحانه وتعالى بإنعامه على المسلمين بهذا الدين، كما حثت السنة النبوية المطهرة على تنمية روح الولاء والانتماء فقال النبي ﷺ كما جاء في صحيح البخاري في الحديث الذي رواه النعمان بن بشير يقول قال رسول الله ﷺ: (ترى المؤمنين في توادِّهم، وتراحُمِهم، وتعاطُفهم كمَثَلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضو تَدَاعى له سائر الجسد بالسهر والحُمّى)[7].

---

(١) المائدة الآيتان (٥٥، ٥٦).
(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن - (٤٢٧/١٠) - مرجع سابق.
(٣) البقرة جزء الآية (٢٥٦).
(٤) آل عمران الآية (١٠٣).
(٥) الأنعام الآية (٧١).
(٦) آل عمران الآية (٨٥).
(٧) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه - كتاب الأدب - باب رحمة الناس والبهائم (١٠/٨) - حديث (٦٠١١).

وكما جاء عن أبي بردة بريد بن أبي بردة، قال: أخبرني جدي أبو بردة، عن أبيه أبي موسى، وقال ﷺ : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بَعْضُه بعضاً)(١).

ومما روي أيضاً: أن عبد الله بن عمر– رضي الله عنهما–، أخبر: أن رسول الله ﷺ قال: (المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته)(٢).

وجاء عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (والذي نفسي بيده، لا تدخلون الجنّةَ حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا، أولا أدلّكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلامَ بينكم)(٣).

فتنمية روح الولاء والانتماء ركن أساسي في عقيدة الإنسان، فلا يصلي المصلي إلا لأنه يحب الله ورسوله، ولا يصوم إلا لأنه يحب الله ورسوله، ولا يحب المسلم إلا لأنه يحب الله ورسوله، ولا يتجنب الزنا، والربا والقتل، والتدمير إلا لأنه يحب الله ورسوله ولا يبغض الكافر، ولو كان أقرب قريب إلا لأنه يحب الله ورسوله. "فأصل كل فعل وحركة في العالم من الحب والإرادة كما أن البغض والكراهة أصل كل ترك"(٤).

فأصل التوحيد، وروحه: "إخلاص المحبة لله وحده، وهي أصل التأله، والتعبد له، بل هي حقيقة العبادة، ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبة العبد لربه، وتسبق محبته جميع محبة الخلائق، وتغلبها، ويكون لها الحكم عليها بحيث تكون سائر محاب العبد تبعا لهذه المحبة التي بها سعادة العبد، وفلاحة. ومن تفريعها، وتكميلها الحب في الله، فيحب العبد ما يحبه الله من الأعمال، والأشخاص، ويبغض ما يبغضه الله من الأشخاص والأعمال، ويوالي أولياءه ويعادي أعداءه، وبذلك يكمل إيمان العبد وتوحيده"(٥) وهذا هو عين روح الولاء والانتماء. ولذلك "أكد الإسلام على فطرة الله بالحث على إشباع الحاجة إلى الصحبة، فأمر كل مسلم بالاهتمام بالجماعة، والانتماء إليها، والحرص عليها، وحث على الألفة، والتعاون بين الناس"(٦).

فالمسلم هو "لبنة حية في جسم الجماعة، ولا يمكن أن ينعزل عنها، كما أن جسم الجماعة لا يمكن بنائه؛ إلا من خلال اللبنات البشرية، وأن الفرد ليتدرج في مراحل حياته المختلفة في ظل

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه - كتاب الأدب - باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا (١٢/٨) - حديث (٦٠٢٦).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه - كتاب الإكراه - باب إذا استكرهت المرأة على الزنا فلا حد عليها - (٢٢/٩) حديث (٦٩٥١).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سببا لحصولها - (٧٤/١) - حديث (٥٤).

(٤) جامع الرسائل - تقي الدين أبو العَبَاس أحمد بن عبد الحليم محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) - تحقيق: د. محمد رشاد سالم - ط: دار العطاء – الرياض - الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م - (٢/ ١٩٣).

(٥) القول السديد شرح كتاب التوحيد - أبو عبد الله، عبد الرحمن آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) - تحقيق: المرتضى الزين أحمد - مجموعة التحف النفائس الدولية - الطبعة: الثالثة. - (صـ: ١١٤) بدون.

(٦) الانتماء الوطني وعلاقته ببعض متغيرات الشخصية لدى عينة من طلاب المرحلى الثانوية بمدينتي مكة المكرمة، وجده - د/ عبد لله بن رمزي بن عبدالله الحربي - رسالة ماجستير المملكة العربية السعودية كلية التربية - قسم علم النفس - ٢٠١٠م - (صـ ١٤).

المظهر الاجتماعي للحياة مؤثرا، ومتأثر آخذا، ومعطيا، ومن ثم فإن الحياة الاجتماعية تقوم في جوهرها على الصورة الجماعية"(١).

"ولذا يعتبر تنمية روح الولاء، والانتماء بمثابة اتجاه قوي يحركه دافع قوي؛ لإشباع حاجة أساسية لدى الإنسان يقهر من خلالها انفصاله، وعزلته عن الآخرين، باحثا عن الاندماج، والتوحد مع كيان يشعر أنه أكيد، وأشمل، وأقوى منه ويبحث عن الأمان لتحقيق ذاته مع الآخرين يكون مقبولا منهم، ويرضون وجوده معهم"(٢).

وأيضاً: "يعد الانتماء من الحاجات النفسية الأساسية للإنسان، فقد أجمع علماء النفس والاجتماع على جعله مع الحب في مرتبة تالية في حياة الإنسان الطبيعية التي تضمن له النمو، والبقاء حيًا. والانتماء حاجة نفسية طبيعة لدى الفرد، ولكنها شأنها شأن غيرها من الحاجات النفسية الطبيعية التي لا تتحقق تلقائيا كما أنها لا تتخذ نمطا سلوكيا، واحدا للتعبير عن نفسها، إنما تتعدد تلك الأنماط اتساعا وضيقا، تنافرا وتكاملا"(٣). فسر الانتماء، والولاء هو "أن الفرد الواحد يشعر من عمق وجدانه أنه لا يستطيع العيش وحده، فريدا في هذا الكون الفسيح، ويريد أن يجد آخر يتحدث معه ليوسع من وجوده، فإذا وجد الآخر تمسك به، وأخلص له، فالولاء عبارة عن دمج الذات الفردية في ذات أوسع منها وأشمل، وإذا صدر هذا الدمج عن إيمان وإخلاص وجب على الفرد أن يحميه، وإن اقتضى الأمر تضحية بالروح"(٤).

ثالثًا: أنواع الولاء والانتماء:

١. **الولاء والانتماء للدين:** وهو أصل الأنواع؛ لأنه يبني عليه بقية الأنواع الأخرى فولاء الإنسان لربه أصل في الدين وأمر به الشرع فالمسلمون في ربوع الأرض أمة واحدة أتباع ملة واحدة كما أخبر القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾(٥) فيجب أن يكون الولاء للدين لا للأشخاص؛ فالحق باقٍ والأشخاص زائلون، واعرف الحق تعرف أهله.

٢. **وهناك انتماء للوطن:** وهو من أفضل الأنواع وكان أول ممارس لها النبي محمدﷺ حينما خرج من مكة الى المدينة فنظر إلى مكة وقال كلمته المشهورة: (أما والله إنك لأحب البلاد إلى الله

(١) الإسلام والشباب عبد االتواب رضوان - مجلة رسالة الإسلام - (العد ١٦) - ١٩٨٧م. - (صـ٥٥).
(٢) الانتماء الوطني وعلاقته ببعض متغيرات الشخصية مرجع سابق (صـ ١٥).
(٣) التنشئة الاجتماعية للطفل العربي الوحدة والتعددية - قدري حفني - مجلة النيل - (العدد ٢٨) القاهرة ١٩٨٦م - (صـ٦٢).
(٤) قيم من التراث - زكي نجيب محمود - دار الشروق - القاهرة - ١٩٩٩م - (صـ ٣٩١).
(٥) الأنبياء الآية (٩٢).

سبحانه، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت)[١]. فالولاء والانتماء للإسلام عامة، وللوطن خاصة صنوان يتواكبان في تنمية المجتمع وتوثيق عرى الانتماء بين أبنائه، وطريق لبناء التاريخ، والمجد، والحضارة، ولم لا وقد استعمرنا الله في الأرض للاستخلاف بعد أن أنشأها ﷻ كما قال تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[٢]، ولذلك "فلا قيام لأمة الإسلام، إلا إذا التئم نسيجها بلحمة الولاء، وألزمت نفسها بعناصر هذا الولاء وهي: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله، ورسوله"[٣].

٣. **وهناك ولاء وانتماء للقبيلة والعشيرة:** التي يعيش فيها الإنسان، وهذا أيضاً أمر أقره الشرع فقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[٤].

٤. **وهناك الولاء والانتماء الأسري:** ونسبة الأولاد إلى آبائهم كما قال تعالى: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[٥].

٥. **وهناك الولاء والانتماء:** لصنعة أو حرفة معينة فيقال فلان حداد نجار اسكافي جزار خباز، وكان الصحابة ﷺ ومن بعدهم عندهم روح الانتماء والولاء فقد كانوا دائما ينسبون إلى أوطانهم، وقد يشتهرون بها فلا يعرفون، إلا بنسبتهم إليها وذلك مثل الغفاري، والأشعري، والفارسي، والبصري، والقرني، والبخاري، والصنعاني... بل كان الكثير من إذا شعروا، بدنو أجلهم، رجعوا إلى أوطانهم، حتى يختموا فيها حياتهم، ويدفنوا فيها بعد موتهم[٦].

وبتنمية روح الولاء والانتماء تنتعش الأمة وتزدهر حضاريا واقتصاديا فهو "ضرورة اقتصادية حتى نحافظ على وجودنا، ونعمل على تطوير أنفسنا، وننافس الإنتاج الكبير، وندخل عصر التكنولوجيا المتطورة، ونحن مرفوعون الرأس. لا فرادى مبعثرين، ولنتبؤأ مكانتنا اللائقة بنا في المجتمع الإنساني كله"[٧].

---

(١) أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار - أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد المكي المعروف بالأزرقي (المتوفى: ٢٥٠هـ) - تحقيق: رشدي الصالح ملحس - دار الأندلس للنشر – بيروت - (٢/ ٢٩٥) - بدون.

(٢) هود الآية (٦١).

(٣) الولاء من واجبات الرحمة - محمد مجاهد طبل - ١٩٩٥- (صـ ٤) بدون.

(٤) الحجرات الآية (١٣).

(٥) الأحزاب الآية (٥).

(٦) ينظر: الانتماء والولاء الوطني في الكتاب والسنة د/ وليد مساعدة وآخرون - بحث منشور بالمجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية (العدد ٣)١٤٣١ه -٢٠١٠م - (صـ ٥١).

(٧) ينظر: درر إسلامية - عبد العظيم منصور - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٥م - (صـ١٠١) - بدون.

وبتنمية روح الولاء والانتماء تتوثق العلاقات والروابط الحضارية والاجتماعية لتحقيق قول الله ﷻ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1]، "فما دامت هناك أخوة فلا أنانية، ولا سلبية، ولا مشاكل، وإن وجدت، فإنها سرعان ما تحل" فإنه ما من فكرة عرفتها البشرية حتى اليوم في تنظيم العالم كوحدة إنسانية، وفي تنظيم المجتمع كوحدة بشرية؛ إلا وفكر الإسلام، والإنسان أكبر منها وأرحب"[2]، بتنمية روح الولاء والانتماء ينضبط المجتمع خلقياً، حيث ينتشر الحب، والعدل، والرحمة والوفاء، وكل ما هو خير "فليست الأخلاق من مواد الترف، التي يمكن الاستغناء عنها؛ بل هي أصول الحياة التي يرتضيها الدين، ويحترم ذويها"[3].

وبتنمية روح الولاء للدين والانتماء للوطن، تزدهر الحضارة في شتى المجالات العلمية، والأخلاقية والاقتصادية، والسياسية والتقنية، وغيرها.

الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج وأبرز التوصيات:

تم بحمد الله تعالى البحث الموسوم بـ "**من القيم الحضارية دراسة في ضوء القرآن الكريم**" ونضمنها هنا أهم النتائج والتوصيات:

أولاً: أهم النتائج:

١. القيم: عبارة عن مجموعة المبادئ والقواعد والمثل العليا التي يؤمن بها الناس ويتفقون عليها فيما بينهم ويتخذون منها ميزاناً يزنون بها أعمالهم.

٢. الحضارة: نظام شامل يقوم بعمارة الأرض في ضوء المنهج الرباني الذي شرعه لنا رب العالمين وبينه النبي ﷺ.

١. العدل أساس الملك ونبراس التقدم والازدهار ونهوض الحضارة وسياجها، وتاجُها ومنهاجُها، لا يمكن أن نتصور حضارة بدون عدل.

٢. إن الحضارة قرينة الحرية فالحرية من القيم الحضارية التي لها دور كبير في ازدهارها ورقيها.

٣. الإحسان من القيم الحضارية التي أقرها القرآن الكريم وهو من أخلاق أهل الإيمان ومن أسباب النهوض والرقي الحضاري لما فيه من خيرٍ وصلاح للبلاد والعباد.

٤. يعتبر التنافس من أفضل القيم الحضارية؛ لأنه قرين الهمة العالية فصاحب الهمة، يسعى ليكون أول المتسابقين للرقي لمعالي الأمور في الدنيا والآخرة.

---

(١) الحجرات جزء الآية (١٠).

(٢) نظرية تقويم الفرد، وتنظيم المجتمع في الإسلام - محمد موسى عثمان - سلسة البحوث الإسلامية العدد (١١) - ١٤٠٠ه،١٩٨٠م- (صـ١١٥).

(٣) خلق المسلم - الشيخ محمد الغزالي الطبعة الثامنة- دار التراث العربي ١٣٩٤ه ،١٩٧٤م - (صـ١١).

٥. بتنمية روح الولاء لله ولدينه، والانتماء للوطن الإسلامي والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم تزدهر الحضارة في شتى المجالات العلمية، والاقتصادية، والسياسية والتقنية، وغيرها.

٦. القيم الحضارية الموجودة في كتاب الله ﷻ هي الطريق الموصل إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، للسعادة في الدنيا والوصول للجنة في الآخرة.

٧. الإسلام قوة عالمية تمتلك كلّ مقومات الحضارة القادرة على قيادة العالم، فبلاد الإسلام تملك الطاقة، والثروة، والكثافة السكانية، والامتداد الإقليمي، في أغنى بقع العالم.

٨. الحضارة الإسلامية تمتلك أغنى ثقافة إنسانية مصدرها رباني محفوظ، قادرة على إخراج الإنسان من ظلام الشرك إلى نور التوحيد، ومن الباطل إلى الحق، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الغي إلى الرشاد.

ثانيًا: أبرز التوصيات

١. يجب الاهتمام بالقيم الحضارية، والأخلاق الإسلامية الرفيعة، التي تعمل على رفاهية المجتمع، حتى يعيش المجتمع في سعادة أبدية.

٢. في القرآن الكريم صور ومشاهد للحضارات الرائدة والبائدة ولا يكتفي القرآن بالعرض والتصوير بل يشتمل على التحليل والنقد والاستنباط والاعتبار.

٣. ضرورة البحث والتنقيب عن القيم الحضارية في القرآن الكريم وجمعها وتوظيفها والاستفادة منها.

٤. يجب دراسة هذه القيم في جميع المراحل التعليمية؛ لأنها من الثوابت التي أقام عليها الإسلام.

٥. ضرورة توظيف المنهج القرآني في نقد الحضارات المعاصرة.

أهم المصادر والمراجع.

أولاً: القرآن الكريم.

ثانيا: كتب السنة.

ثالثا: أهم المصادر والمراجع:

أبجديات البحث في العلوم الشرعية – د. فريد الأنصاري – منشورات الفرقان – الطبعة الأولي الدار البيضاء – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار – أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي (المتوفى: ٢٥٠هـ) – تحقيق: رشدي الصالح ملحس – دار الأندلس للنشر – بيروت – بدون.

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم – أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) – دار إحياء التراث العربي – بيروت.

الاستقامة – تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) – تحقيق: د. محمد رشاد سالم – جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة – الطبعة: الأولى، ١٤٠٣.

الإسلام والحضارة الغربية – د/ محمد محمد حسين – المكتب الإسلامي – بدون.

الإسلام والشباب عبد التواب رضوان – مجلة رسالة الإسلام – (العد ١٦) – ١٩٨٧م.

الانتماء الوطني وعلاقته ببعض متغيرات الشخصية لدى عينة من طلاب المرحلة الثانوية بمدينتي مكة المكرمة، وجده – د/ عبد لله بن رمزي بن عبد الله الحربي – رسالة ماجستير المملكة العربية السعودية كلية التربية – قسم علم النفس – ٢٠١٠م.

الانتماء والولاء الوطني في الكتاب والسنة د/ وليد مساعدة وآخرون – بحث منشور بالمجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية (العدد٣)١٤٣١هـ –٢٠١٠م.

آيات الهداية والاستقامة في كتاب الله تعالى – الشيخ عطية سالم بدون.

بحر العلوم . موافق للمطبوع – أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ) – تحقيق: د. محمود مطرجي – دار النشر: دار الفكر – بيروت.

التبر المسبوك في نصيحة الملوك – أبو حامد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) – ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين – دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» – محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) – الدار التونسية للنشر – تونس – سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية – علي علي صبح – المكتبة الأزهرية للتراث.

التَّفْسِيرُ البَسِيْط – أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) – المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه – عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.

تفسير الشعراوي – الخواطر – محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)– مطابع أخبار اليوم –

تفسير القرآن العظيم– أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) – تحقيق سامي بن محمد سلامة – دار طيبة للنشر والتوزيع– ط٢،١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م.

التفسير الكبير – أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط٢، ١٤٢٠هـ.

التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون – تفسير القرآن الكريم على منهاج الأصلين العظيمين – الوحيين: القرآن والسنة الصحيحة – على فهم الصحابة والتابعين. تفسير منهجي فقهي شامل معاصر – الأستاذ الدكتور مأمون حموش – المدقق اللغوي: أحمد راتب حموش – الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

تفسير المراغي – أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر – الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م.

التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج – د وهبة بن مصطفى الزحيلي –: دار الفكر المعاصر – دمشق – الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ.

تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)– أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)– حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي– راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو– دار الكلم الطيب، بيروت– ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

التنشئة الاجتماعية للطفل العربي الوحدة والتعددية – قدري حفني– مجلة النيل – (العدد٢٨) القاهرة ١٩٨٦م.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) – تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق – مؤسسة الرسالة – الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م.

جامع البيان في تأويل القرآن – محمد بن جرير أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) – تحقيق: أحمد محمد شاكر – مؤسسة الرسالة – الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

جامع الرسائل – تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) – تحقيق: د. محمد رشاد سالم – ط: دار العطاء – الرياض – الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

الجامع لأحكام القرآن – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) – تحقيق: هشام سمير البخاري– دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية – الطبعة: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣م.

حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح – محمد بن أبي بكر سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) – مطبعة المدني، القاهرة – بدون.

الحضارة – د/ حسين مؤنس – الكتاب رقم ١ من سلسلة عالم المعرفة – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت.

الحضارة الإسلامية أسسها ومبادؤها – دار الطباعة العربية – بدون.

الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل– جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود – الشاملة الذهبية.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء– أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) – السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م – دار الكتاب العربي – بيروت.

خلق المسلم – الشيخ محمد الغزالي الطبعة الثامنة– دار التراث العربي ١٣٩٤هـ ،١٩٧٤م.

درر إسلامية – عبد العظيم منصور – طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٥م – بدون.

دولة القرآن – طه عبد الباقي سرور – دار الفكر العربي – بدون.

ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر – عبد الرحمن بن محمد بن خلدون أبو زيد، (المتوفى: ٨٠٨هـ) – تحقيق: خليل شحادة – دار الفكر، بيروت – الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

ديوان حافظ إبراهيم – الهيئة المصرية العامة للكتاب – بدون.

رحلة ابن بطوطة – محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم ابن بطوطة (المتوفى: ٧٧٩هـ) – أكاديمية المملكة المغربية، الرباط – ١٤١٧هـ.

الرحيق المختوم– صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ)– دار الهلال– بيروت– دار الوفاء – الطبعة: الأولى.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني– شهاب الدين الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)– تحقيق: علي عبد الباري عطية – دار الكتب العلمية – بيروت– ط٢، ١٤١٥هـ.

زاد المهاجر إلى ربه – محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) – تحقيق: د. محمد جميل غازي – مكتبة المدني.

علم الاجتماع الإسلامي التصوير القرآني للمجتمع المسلم نظرية الإسلام الاجتماعية – د/ صلاح مصطفى الفوال – دار الفكر العربي.

علو الهمة – محمد إسماعيل المقدم – دار القمة – دار الإيمان، مصر – ٢٠٠٤م.

فتح الباري شرح صحيح البخاري – أحمد بن حجر العسقلاني الشافعي – دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ – رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي– قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب – عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

فتح القدير – محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) – دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت – الطبعة: الأولى – ١٤١٤هـ.

القاموس المحيط – مجد الدين الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) – تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة – بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي– مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان – الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

قصة الحضارة – وِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت (المتوفى: ١٩٨١م) – تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر – ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين – دار الجيل، بيروت – لبنان – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

القول السديد شرح كتاب التوحيد– أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)– تحقيق: المرتضى الزين أحمد– مجموعة التحف النفائس الدولية– ط٢، بدون.

قيم من التراث – زكي نجيب محمود – دار الشروق – القاهرة – ١٩٩٩م.

الكشف والبيان عن تفسير القرآن – أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي– (المتوفى: ٤٢٧هـ) – تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور– مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي – دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

لسان العرب– محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) – دار صادر – بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤١٤.

محاضرات في المجتمع الإسلامي – الشيخ محمد أبو زهرة – دار الفكر العربي – القاهرة. بدون.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) – تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد – دار الكتب العلمية – بيروت –الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.

مختار الصحاح – زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) – تحقيق: يوسف الشيخ محمد – المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا – الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

مُخْتَصرُ مِنْهَاجِ القَاصدِينْ – نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٨٩هـ) – قدم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان – مكتَبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق – ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م بدون.

المرشد في كتابة الأبحاث– حلمي محمد فوده وعبد الرحمن صالح عبد الله جدة: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة– الطبعة السادسة– ١٤١١،١٤١٠هـ– ١٩٩١م.

مروج الذهب ومعادن الجوهر – أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (المتوفى: ٣٤٦هـ) – تحقيق: أسعد داغر – دار الهجرة – قم –١٤٠٩هـ.

المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية بالقاهرة – (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار) – دار الدعوة.

المفصل في الرد على الحضارة الغربية – علي بن نايف الشحود – الشاملة الذهبية.

ملامح المجتمع المسلم د يوسف القرضاوي مكتبة وهبة. القاهرة الطبعة الثالثة. ٢٠٠١.

المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

المنهج المسلوك في سياسة الملوك – عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، جلال الدين العدوي الشيزري الشافعي (المتوفى: نحو ٥٩٠هـ) – تحقيق: علي عبد الله الموسى – مكتبة المنار – الزرقاء

مؤتمر السيرة النبوية الخامس بعنوان المجتمع المسلم. لسنة ٢٠١٣م – د/ احمد محمد الشرقاوي سالم – الجامعة الإسلامية جنوب البنجاب. المملكة العربية السعودية.

نحو إنسانية سعيدة، د. محمد المبارك رحمه الله – دار الفكر بيروت ١٣٨٩هـ الطبعة الثانية.

نظرية تقويم الفرد، وتنظيم المجتمع في الإسلام – محمد موسى عثمان – سلسة البحوث الإسلامية العدد (١١) – ١٤٠٠هـ،١٩٨٠م.

هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا– أبو أسامة، محمود محمد الخزندار (المتوفى: ١٤٢٢هـ)– دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض– المملكة العربية السعودية– ط٢، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

الولاء من واجبات الرحمة – محمد مجاهد طبل – ١٩٩٥– بدون.